الفصل السابع

الحيـــاة الثقافيـــة

الأدب

كارتون الأطفال هو الساحة الوحيدة التي يمكننا عبرها إحياء ما انقرض، لكنها لم تكن محاولة كارتونية من أليعازر بن يهوذا (١٨٥٨-١٩٢٢)، ليتزعم حركة إحياء اللغة العبرية، كلغة منطوقة، بل كان ذكاءً منه أن يصنع بذلك لغة قومية لليهود تصبح هي لغة (إسرائيل) الرسمية اليوم.

إليعازر بن يهوذا

بدأت محاولاته لإحياء العبرية بعد هجرته إلى فلسطين، عام ١٨٨١، بابتكاره لفكرة استعمال العبرية في البيت، والمدرسة، وأدخل آلاف من الكلمات الجديدة، كما أسس نشرتي لغة عبريتين دوريتين، وجمع العديد من الكلمات في قاموس من ١٧ مجلدًا، ضمت يضم المفردات العبرية، القديمة والحديثة، على حد سواء. وقد بدأ نشاطه عام ١٩١٠، وأكملته زوجته

الأبجدية العبرية

الثانية وابنه، عام ١٩٥٩.

عجنون

بدأ الأدب العبري الحديث في فلسطين، لأول مرة، على يد الكتاب المهاجرين، الذين تمتد جذورهم إلى بلدان العالم المختلفة. ويعتبر يوسف حايم برينر Yosef Haim Brenner (١٨٨١-١٩٢١)، وشموئيل يوسف عجنون Shmuel Yosef Agnon (١٨٨٨-١٠٧٠)، آباء الأدب العبري الحديث، في القرن العشرين.

دارت كتابات برينر حول الصعوبات التي تواجه المؤسسات الصهيونية في (إسرائيل)، والتجمعات اليهودية في فلسطين الممهدة لتأسيس إسرائيل. أما عغنون، فكتب عن هوية اليهودي المؤمن، وغير المؤمن، كما كتب عن الحرب، والهولوكوست، إلى أن حصل على جائزة نوبل، بالمناصفة مع نيللي ساش، لتكون أول جائزة نوبل تمنح لإسرائيل.

بعدهم بدأ يولد كُتاب في إسرائيل، نشروا أعمالهم، في الأربعينات والخمسينيات، بالعبرية لأنها لغتهم الأولى، ولأن خبراتهم في الحياة ارتبطت بـ(إسرائيل) وحدها، من أمثلة هؤلاء الكتاب موشيه شامير Moshe Shamir هانوخ بارتوف، Hanoch Bartov، حاييم غور Haim Gouri، وبنيامين تاموز Benjamin Tammuz، وتشتت هؤلاء الكتاب ما بين الفردية والاستقلال، وبين الانتماء للمجتمع والدولة، فقدموا نموذجًا للواقعية الاجتماعية.

في بداية الستينات ظهر جيل جديد من الشبان، مثل أ.ب يهشوع A.B. Yehoshua، عاموس عوز Amos Oz، يورام كنيوك Yoram Kaniuk،

ويعقوب شابتاي Yaakov Shabtai، وقاموا بالتمرد على الأعراف الإبداعية السائدة، والتركيز على عالم الفرد.

شهدت الثمانينات والتسعينيات نشاطًا أدبيًا كبيرًا، حيث ازداد عدد الكتب المنشورة، بشكل كبير، وحقق عدد من الكتاب الإسرائيليين انتشارًا دوليًا، منهم: مير شاليف Meir Shalev، أ.ب.يهشوع Yehoshua، ديفيد جروسمان David Grossman، ديفيد شاحار David Shahar، أهارون أبلفيلد Aharon Appelfeld. ولا يمكن إغفال الكتاب اليهود من أصول عربية، مثل سامي ميخائيل Sami Michael، ألبيرت سويسا Albert Suissa، ودان بيانا سيري Dan Benaya Seri.

أما مؤخرًا، فظهر جيل جديد يرفض كل الخبرات الإسرائيلية السابقة، ويميل للإرتباط بالعالم كله، ومنهم من تحتل كتبه حيزًا في القائمة الأكثر مبيعًا، في العالم، وهم إيتجار كيريت Etgar Keret، جادي تاوب Gadi Taub، أورلي كاستيل بلوم Orly Castel Blum، ميرا ماغين Mira Magen، يهوديت كاتزير Yehudit Katzir، وإيريت لينور Irit Linor[1].

وجدت المرأة على الساحة الأدبية، لتكتب عن الأمور العامة، وعن عالم النساء، في ظل التقاليد اليهودية، ومنهن عماليا كهانا كرمون Amalia Kahana Carmon، حنا بات شاحار Chana Bat Shahar، شولميت هارئيفين Shulamit Hareven، شولميت لابيد Shulamit Lapid، روز ألموغ RuthAlmog، سافيون ليبريخت Savion Liebrecht، وباتيا غور Batya Gur.

(١) لمزيد من المعلومات أنظر ببلوجرافيا الأدباء والشعراء العبريين أنظر:
<http://www.ithl.org.il/authors.html>.

إلى جوار الأدباء، ظهرت عدة أجيال من الشعراء، كانت تجاربهم متأثرة بمناخ الأدباء نفسه، حيث بدأ الشعر على يد الشعراء المهاجرين، أوائل القرن العشرين، مثل حاييم ناحمان بياليك (١٨٧٣-١٩٣٤) الملقب بـ«لشاعر الوطني» أو «شاعر عصر النهضة العبري»، وشاؤول تشازنيخوفسكي (١٨٧٥-١٩٤٣). وأكثر الأسماء التي لمعت في الجيل الثاني من الشعراء كان أوري تسفي غرينبيرج، الذي بدأ كتابة من قبل تأسيس الكيان الصهيوني، وأستمر بعد تأسيسه.

ظهرت أول شاعرة شهيرة في العبرية، وهي راحيل بلاوشتاين (١٨٩٠-١٩٣١)، لتؤسس للشعر النسوي العبري، مقدمة أشعارًا قصيرة غنائية عاطفية، في أسلوب بسيط، وغني فكريًا، وتبعتها بعض الشاعرات، مثل داليا رابيكوفيتش، ومايا بيجيرانو.

أما أدب الطفل، فقد ركز، في بداياته، على القيم الاجتماعية، وإنجاز الأهداف من أجل بناء الدولة، معتمدين على أبطال وشعارات. وتطرق منذ الستينيات إلى قضايا البالغين، مثل الطلاق، والموت، والعائلات ذات الأب الواحد، وروت بعض الكتب عن فكرة تهجير اليهود إلى (إسرائيل)، والرواد الذين أسسوا (إسرائيل).

نماذج لكتب أدب الطفل

ليصبح «معهد ترجمة الأدب العبري» Institute for the Translation of Hebrew Literature هو الواجهه للنشاط الأدبي الحالي، وقد تأسس عام ١٩٦٢، لإحاطة القراء والناشرين الأجانب بالأدب العبري المعاصر، كما يقوم المعهد بانتقاء مختارات أدبية، ونشرها في حوالي

٤٠ لغة، مثل الألمانية، والويليزية، والهندية، وصينية، فضلاً عن قيالم المعهد بتنظيم المؤتمرات، والمشاركة في معارض الكتاب الدولية، وعمل بيبلوغرافيا سنوية للأدب العبري، وقد بدأ مؤخرًا في نشر مجلة نصف سنوية، باللغة الإنجليزية تسمى آريل ARIEL، وهي أهم مجلة أدبية بالإنجليزية، تقدم السينما، والشعر، والرقص، والموسيقى، والرسم، والنحت، والأدب في الكيان الصهيوني، كما يصدر المعهد دوريات سنوية عن سيرة الكتاب»[1].

ربما كان هذا النشاط الأدبي الفعال وراء استضافة فرنسا لـ(إسرائيل)، كضيف شرف، في معرض الكتاب الفرنسي، في مارس ٢٠٠٨، بحيث دعت فرنسا العديد من الكتاب الإسرائيليين، لتحتفي بالأدب الإسرائيلي. وبمناسبة ذلك أصدرت (إسرائيل) الترجمة العبرية والعربية لسلسلة كتب مغامرات «أستريكس عند شهرزاد»، مما يشير إلى تأثرهم بألف ليلة وليلة.

معرض الكتاب الإسرائيلي

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts-About+Israel/Culture/CULTUR-%20Literature، ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧.

أسبوع الكتاب العبري السنوي

أما عن معارض الكتاب داخل (إسرائيل)، فيتم إقامة أسبوع للكتاب العبري كل عام في القدس، ويُستضاف فيه الكتاب، ويتم عمل ندوات يومية في عدد من المراكز بالقدس، وقد أقيم الاحتفال السادس والأربعين له، في يونيو ٢٠٠٧. وشهدت (إسرائيل) أدبيًا أحداث أخرى هامة، مثل وضع الروائي عاموس عوز على قائمة جائزة البوكر لعام ٢٠٠٧. رغم ذلك هناك سقطات لم تستطع أن يعالجها الكيان الصهيوني، ففي مكتبات (إسرائيل) تتحطم الهوية العبرية، التي يمجدونها تحت سطوة الإنجليزية، بشهادة جريدة «هآرتز»، التي كتبت: «هناك ما يكفي من الكتب الإنجليزية في إسرائيل، لتشبع مدمنيها، الذين يعتقدون في رقي إنتاجات هذه اللغة. فلابد أن تجد، ولو بعض الأرفف الإنجليزية، حتى في المتاجر التي تبيع الكتب العبرية، ربما لأن إيجاد عنوان ممتاز في إسرائيل يعني التنقيب، في أغلب الأحيان، في أكوام النشرات أولاً.

«ليشبه بذلك مشهد الكتب المستعملة، في تل أبيب ثقافة المجتمع نفسه المتعددة. حيث المتاجر تبيع كتبًا بكل اللغات، في منطقة كارمل ماركت، وفي ممر شارع كينج جورج، وشارع ألبيني، وفي نقاط متفرقة أخرى من المدينة. أما متاجر الكتب الإنجليزية المستعملة، فيوجد على الأقل أربعة أو خمسة مكتبات معتدلة الأسعار في تل أبيب والقدس. ويشكل السياح نسبة كبيرة من زبائنها، بينما يقبل القراء المحليين

على المتاجر الصغيرة، ومكتبات الإنترنت للكتب الإنجليزية.

«يتركز (هالبير)، أكبر بائع كتب إنجليزية مستعملة، في تل أبيب، في ممر ألبيني. وعن مكتبته، التي أسسها عام ١٩٩١، بعد حرب الخليج، يقول هاليبر الأميركي الجنسية: (لقد كنت أنوي أن أفتتح مكتبتي، قبل ذلك، لكن أخرتني القذائف، التي كانت تسقط على شارع ألبيني، وخططت لعرض نصف الكتب باللغة الأنجليزية، والبقية بالعبرية، والأسبانية، والألمانية، والفرنسية، لتكون مكتبتي متعددة اللغات، لكنني غيرت رأيي، واخترت أن أكون المصدر الرئيسي للكتب الإنجليزية في إسرائيل، التي أجلبها من الولايات المتحدة). تصطف كتب مكتبة (هالبير) من الأرض وحتى السقف، في أربعة حجرات، وفناء، ومخزنين كبيرين. وتشمل عناوين في التراجم، والأدب البوليسي، والكتب النادرة، والأكثر طلبًا.

«في الطريق نفسه، عند شارع الملك جورج، ستلاحظ مكتبة (الأمير الصغير)، من مجموعة الكتب المعروضة أمامها. وقد قرر صاحبها؛ نعيم كوهين، خلال الأعوام الستة الأخيرة، تزويد أرففها بمجموعة من مختارات الكتب العبرية، بما فيها الكتب النادرة منها، لتتجاور مع الكتب الإنجليزية التي يعرضها».

«أما عندما بدأت تكبر مكتبة (الأمير الصغير) قرر أن يفتتح فرعًا إضافيًا ليحوي مقهى ليصنع تكتل إستراتيجي في تل أبيب، بحيث يأتي الجمهور لأي من الفرعين، ويشربون قهوتهم بدون إزعاج. وعن كتبه يقول كوهين: (أشتري كتبي وفقًا لقاعدة الندرة والطلب، حيث أشتري الكتب التي سمعت عن مؤلفيها من قبل، لكن أحيانًا أرى كتابًا، لأول مرة، وأقيّمه). يرفع كوهين سعر الكتب الإنجليزية، بسبب توافرها المحدود، بمبرر: (إنها ليست أميركا)».

«(بوتيك) متجر آخر للكتب المستعمة، في تل أبيب، في شارع ديزنكوف، الذي

يلعب دوره في إعارة الكتب أكثر من بيعها، فيسمح للزبائن بإعادة كتبهم بنصف السعر أو استبدال الكتاب بآخر. وكتب على شباكه «مطلوب زبائن، لا نشترط الخبرة، التقدم بالداخل». ويقول صاحبه موشيه كاول: (الناس الذين يشترون الكتب ليحتفظوا بها لا يعنونني كثيرًا، فهنا الناس تشتري الكتب لتعيدها، وأنا أحاول أن أجعل المكتبة صديقة القارئ، قدر الإمكان)».

«يُذكر أن كاول أمتلك (بوتيك) عام ١٩٧٣، عندما أوكلت زوجته بإدارته إليه. وكان به ثلاثون ألف كتاب، أغلبهم كتب كلاسيكية، ومتوسطة المستوى. ويضيف كاول: (لا يأتي هنا سياح كثيرون، وبشكل عام هناك انخفاض ملحوظ في المبيعات، خلال الأعوام الماضية، فالناس تقرأ اليوم أقل بكثير مما كانوا يقرؤونه، وبشكل خاص أجد قرائي يقرؤون خمس ما كانوا عليه، قبل عشرين عام مضت)».

«يستطرد كاول: (على الرغم من أنني أتمنى لمتجري أن يزدهر، فإن التكنولوجيا ستغزو سوق الكتب، مما سيغير من طبيعة الكتاب الذي ستستخدمه الأجيال القادمة، وأتمنى لمن يقوم على المكتبة بعدي، أن يعرف كيف يستغل الكمبيوتر جيدًا)».

«تتفق مع كاول، بيفرلي بيرج صاحبة مكتبة (بيفرلي)، التي حولتها بعد عشرين عامًا من مكانها في مقاطعة هادلر في حيفا، إلى مكتبة على الإنترنت، منذ ستة أعوام مضت. وتُعلق بيفرلي: (لقد كنت مثل عامل البار، الذي يستطيع الاستماع إلى كل شيء، دون أن يصبح جزءًا من حياته)».

«اتخذت بيفرلي قرار التحول، عندما رأت، كما تقول، أن زبائنها لم يعودوا يرغبون في النزول إلى هذه المنطقة، وأنهم يريدون بدائل أخرى، فأختارت، بدلاً من الإنتقال إلى مكان آخر، الإنتقال إلى موقع أمازون. وتصف بيرج هذا التغيير، قائلة:

(نسبة المبيعات لم تختلف، لكنني أفتقد الإحساس بوجود متجر، والتعامل مع زبائني المنتظمين، فهو عمل مختلف، حيث لا أتقابل وجهًا لوجه مع الزبون، ولم أعد كساقي في حانة. إنما الآن أجلس أمام الكمبيوتر، الذي لا يتحدث إليَّ، أضع قوائم الكتب وألخصها، وأعتقد أن المجتمع الإسرائيلي مستعد لمثل هذا النوع من التسوق، إلا أن الإسرائيليين مترددين حول وضع بطاقة إئتمانهم على الإنترنت)».

«أما عن عالم الكتب في القدس، فأُنشِئت مكتبة (بوك مارك)، في وسط إسرائيل، حاوية لعشرين ألف عنوان أكثرهم من الإنجليزية مع بعض الإنتقاءات من الكتابات العبرية والفرنسية،وأكثر ما تشتهر به هو كتب الأطفال المثيرة والألغاز، كما تعرض الكتب المعلن عنها، في منتدى أوبرا وينفري. وتشترى صاحبته: سارة لانداو، كتبها من الزبائن، وأحيانًا تجد الكتب، كالأيتام على عتبة بابها على شكل حزمة أو مجموعة كتب بلا اسم أو رقم هاتف».

«ترى لانداو: (أن عائد بيع الكتب الإنجليزية في إسرائيل، أقل من المستوى الطبيعي للربح، مما يمثل تحديًا بالنسبة للمكتبة، لكنني أحب الكتب، فهي موجودة تحت جلدي، وتجري في دمي. ولو أراد أحدهم أن يفتح مكتبة عليه أن يكون لديه عم غني، أو مخبأ سري للنقود، وأكبر مثال ما حدث خلال الإنتفاضة، فقد قرأت أطنانًا من الكتب، لأنه لم يكن لدي ولا زبون واحد)، ولوجود المكتبة في مقاطعة مليئة بالأطباء، والمحامين، وعلماء النفس تبرر لانداو بحثهم آخر الأسبوع عن كتب تافهة وظريفة، لأنهم يريدون التخلص من جدية الأسبوع».

«يمتلك موتي بلم ثلاث مكتبات، هي موفيت، ويالكت، وبوك ستور، وأهم خدمة يقدمها هي الطلب عن طريق التليفون، ثم ترك العميل رقم هاتفه، حتى يبلغه، في حال جلبه للكتاب الذي يريده. مكتبة أخرى، مثل (سيفير في سيفيل)،

تقدم خدمات عديدة، وبأسعار متوسطة، كما أن كل كتبها بالإنجليزية. تنافسها مكتبة (داني بوك) التي تأسست عام ١٩٥٦، وتتحتوى على نسبة كبيرة من العناوين الإنجليزية، وتعتمد على أن يشتري الزبائن الكتب، ثم يعيدونها، بعد قراءتها، ويحصلون في المقابل على ٦٠٪ من قيمة الكتاب، كما يقدم المتجر أحيانًا، عروضًا، مثل الحصول على كتاب ثالث، هدية في حال شراء كتابين».

«كما أسس أعضاء رابطة متحدثي البريطانية (esra)، المكونة من الجامعات الإنجليزية المهاجرة، متجرًا من للكتب من الدرجة الثانية في تل أبيب، غير مستهدفين الربح، محاولين عن طريق مساعدة نوادي الكتب حول المدينة، وجذب القراء من خلال إتاحة تبادل الكتب، وقبول التبرعات بالكتب المستعملة، وبيعها بأسعار زهيدة».

هذا التراجع للعبرية في مواجهه الإنجليزية يخبأ خلفه سقطات أخرى، حيث ظهرت مؤشرات تؤكد تراجع نسبة القراءة في (إسرائيل)، وهذا ما ذكره أحد الإستقصاءات الإسرائيلية، الذي أثبت أن ٣٢٪ من الإسرائيليون لم يقرأون أي كتاب خلال عام ٢٠٠٧، وأن ٢٧٪ أحجموا تمامًا عن قراءة الكتب خلال العام نفسه، فكانوا يقضون ١٤ ساعة أسبوعية أمام التليفزيون و١٤ ساعة أسبوعية أخرى أمام الإنترنت!

تراجع آخر يعكسه الأدباء في روايتهم، مثل رواية الإسرائيلي، أ.ب.يهشوع، التي أعترف فيها، بأن (إسرائيل) لا تحترم مواطنيها. وقد حصلت روايته هذه؛ «امرأة في القدس»، عام ٢٠٠٦، على جائزة لوس أنجلوس للكتب، وهي الجائزة التي مُنحت غام ٢٠٠٥ لكاتب نوبل الكولومبي الكبير؛ جابريل جارثا ماركيز. ومن المعروف عن يهشوع، (البالغ ٧٠ عامًا)، إصراره الدائم على إغضاب اليهود، الذين يتخلون

عن الإقامة في (إسرائيل)، مقلاً من وطنيتهم وولائهم لـ (أرض الميعاد)، لأنه يؤمن أن اليهودي هو الذي يعيش في (إسرائيل)، وليس خارجها، لكن يبدو أن يهشوع قرر تجاوز هذه الخطوة، ومحاورة الإسرائيليين الذين يحملون كل الولاء للوطن، رغم أنهم حتى لم يحصلوا على إعتراف بمواطنتهم.

كتبت جريدة «المراقب اليهودي» الإلكترونية عن الرواية: «كتب يهشوع ثماني روايات، وفاز بعدة جوائز، كما أنه مفكر، وله تعليقاته السياسية على الأحداث الجارية، مثل رفضه للحرب اللبنانية الأخيرة، لأنه يؤمن بكيان إسرائيل ويود الحفاظ عليه من كل ما يؤذي إستقراره، وربما لذلك السبب كتب روايته الجديدة (امرأة في القدس)، التي تبدأ في القدس بمقتل يليا رجايف، الوحيدة التي أطلق عليها اسم في الرواية، في حادث قام به استشهاديون. وجثمانها كان ضمن مجموعة جثث غير محددة الهوية، وغير معترف بها، لأنها لم تكن يهودية، وإنما مهاجرة من روسيا تشتغل عاملة نظافة في مخبز. وحيما يعرف بذلك صاحب المخبز، (البالغ ٨٧ عامًا)، يأمر مدير المخبز بإعداد مدفن مناسب لها، ولم يكن يمكنها أن تُدفن في إسرائيل، لأنها ليست يهودية، فحمل مدير المخبز جثمانها إلى مدينتها الأصلية البعيدة في روسيا، في رحلة امتلأت بالمخاطر والمصائب الكبرى.

«الكتاب حافل بكنايات ورموز غامضة، تزداد بإصرار الكاتب على الإشارة إلى شخصياته، بما يفعلون، وليس بأسمائهم. في النهاية يصل جثمانها إلى المدينة المستهدفة، لكن أمها تطلب عودة جثمانها إلى القدس، إلى حيث كانت تريد أن تنتمي. وهنا لم يعرف مدير المخبز ما يجب أن يفعله بجثمان يوليا، التي آمنت بإسرائيل، أكثر مما آمنت بها!. فأراد يهشوع، من خلال هذه الرواية، التي تمثل لغزًا

غامضًا، أن يترك القراء يحلون رموزها، ليصلوا للمعنى المختفي، وحدهم، المحمل بنقد حاد لإسرائيل المعاصرة».

ربما تتأكد أفكار يهشوع عن معاناة المواطنين الإسرائيليين، من خلال ما حدث لابن الكاتب الإسرائيلي الكبير، ديفيد جروسمان، وهو يوري جروسمان، الذي مات خلال الحرب اللبنانية الإسرائيلية الأخيرة، وهو في العشرين من عمره. ولم يعوض الكاتب أي شيء عن ولده، ولا حتى تكريم الجامعة الكاثوليكية، في «بيلجيم» بمنحه دكتوراه شرفية، لمجهوداته كناشط للسلام، يوم ٢ فبراير ٢٠٠٧، وعن أسباب اختياره، صرحت الجامعة بأن: «كتاباته مثلت رؤى مختلفة عن القضية الفلسطينية، والهولوكوست، فهو يكتب ضد التفكير أحادي الجانب، ويدعو إلى الحوار، والتسامح، وبينما كان يصرخ ضد الحرب في لبنان، الصيف الماضي أخذ هذا الصراع حياة ولده، الذي قُتل في إحدى العمليات العسكرية».

الروائي ديفيد جروسمان

ابن جروسمان

عاموس عوز

أشارت الجامعة لمجهوداته، مثل المؤتمر الذي عقده ديفيد جروسمان مع الكاتبين أ.ب.يهشوع، وعاموس عوز، لدعوة (إسرائيل) إلى قبول حل وقف إطلاق النار، وذلك قبل يومين من مقتل يوري، بسبب وقوع قذيفة على وحدته على الحدود اللبنانية. وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن يوري ولد في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥، وكان سيتم عامه الواحد والعشرين، بعد تاريخ وفاته بأسبوعين، كما كان

قد اقترب من إنهاء خدمته العسكرية، في نوفمبر ٢٠٠٧، ويخطط للسفر حول العالم، ودراسة المسرح.

فايندر

من خارج (إسرائيل) هناك بعض الأصوات اليهودية، التي تلعب دورًا، مثل الكاتب جوزيف فايندر، كاتب الجريمة، الذي قرر أن يحمل البندقية، ويتعلم التصويب، لكي يعيش التجربة، ويعرف إحساس مَن يُطلق الرصاص بالبندقية، لأنه لا يريد أن يكون كعذراء تكتب مشهدًا جنسيًا. وربما في حوار شيري ليف أري معه في صحيفة «هآرتز»، نعرف كيف يرى (إسرائيل)، وهو اليهودي الأمريكي، الذي يرى أن أدب القرن التاسع عشر لا يمكن أن ينشر اليوم، لأنه ممل جدًا.

سأله أري: «أليس هناك تناقض فظيع بين الأدب والبندقية؟»، وأجاب فايندر: «إنني أكتب الروايات التي تصنعها البندقية، ومنذ بدأت التعلم، فهمت البندقية، على نحو مختلف. وراودتني أحاسيس مختلفة تجاهها..إحساس أكثر واقعية، وأقل كارتونية، فأنا أخاف الآن أكثر من البندقية».

«ولد فايندر، (البالغ ٤٧ عامًا)، في نيويورك، لأسرة يهودية. وفي عام ١٩٧٥، عندما كان في المدرسة الثانوية اليهودية، زار إسرائيل، وقضى بضعة أشهر في كيبوتز (تل يوسف)، وتحدث ببعض العبرية. وبسبب عمل والده لدى الحكومة الأمريكية، انتقل فايندر مع أسرته، وعاش لفترات طويلة في أفغانستان، وأكمل دراسته الثانوية في روسيا، ثم حصل على درجة جامعية من مركز الأبحاث الروسي بهارفارد. وبسهولة استطاع الإندماج مع المجتمع الأمريكي، لكن فايندر صنَّفه على أنه مجتمع ممل جدًا. فلقد أمضى ثلاث سنوات يحاول أن يكتشف خلالها ما إذا كان

يستطيع أن يتكسب من الكتابة».

«يقول فايندر الذي أسس الجمعية الدولية لكتاب الجريمة: (أنا أكتب روايات للتسلية، لكنني أريد من خلالها أن أعكس العالم الذي نعيش فيه، فألمس ما يهتم به الناس، ويشغلهم). وكنتيجة لذلك كان النجم الحقيقي لرواياته الواقعيه هو المجتمع الأمريكي، الحرب في العراق، الهجمات الإرهابية، وكل ما يتصل بالوضع الراهن للأمريكيين. فاقتبس رواية (غريزة القتل)، من الواقع لنجد أحد أبطاله موظفًا تقبض عليه القوات الأمريكية، ظلمًا، في العراق، فيأخذنا معه لأسرار القوات الأمريكية، التي عرفها فايندر بعد محاولات قام بها لمقابلة جنود القوات المميزة، و(كان ذلك صعبًا، لأنهم يميلون للإنغلاق والسرية، ولا يتيحون للآخر اكتشاف الكثير عنهم، أو عن تدريباتهم، أو عملياتهم، حتى توصلت إلى مجموعة متقاعدة حديثًا في بوسطن. كانوا قلقين بعض الشيء، ولكن أحدهم وافق على تناول الغذاء معي، ليتعرف على مدى صحة كلامي. وتناولنا الغذاء، وتكلمنا، ثم تعاملنا كصديقين، وبدأت التحدث للآخرين بالطريقة نفسها)».

إحدى الشخصيات في الرواية كان فردًا في الميليشيات الأمريكية، وكان عنيفًا جدًا الأمر الذي برره فيندر: (نرى العنف كثيرًا بعد ١١ سبتمبر. حيث أصبح هناك هذا التعطش للدماء.إننا مختلفون ثقافيًا كثيرًا عن إسرائيل، فنحن لسنا محاطين، دائمًا، بالعنف، بالاحتياج للحياة. فنحن نعيش في مأوى مريح جدًا وآمن. وهذا يشجع البعض الذي لا يعرف أي شيء عن الحرب، للالتجاء للحلول العسكرية، كنوع من التباهي، مثل جورج دبليو بوش).

يؤمن فايندر بأن الحرب في العراق خطأ فظيع، فيقول: (للتاريخ، أعترف بأنني كتبت عن ذلك قبل حدوثه بكثير. فلديَّ مصادري الموثوق بها في وكالة

الإستخبارات الأمريكية، خاصة في (لسي أي أيه)، وقبل أن نخوض الحرب في العراق أخبرتني مصادري بأنه لم يكن هناك أي صلة بين صداء حسين و(القاعدة)، وأنه ليس لدى العراق أي أسلحة دمار شامل، وكنت متأكدًا من أن ذلك قد يسبب لنا المزيد من الإضطرابات، فهو لن يحقق لنا أي شيء مما يتوقعه البيت الأبيض.وأنا حقًا خجل من الطريقة التي خضع بها الشعب الأمريكي والسياسيون الأمريكيون، بسهولة، للحرب، وهذا ليس معناه أنني مسالم، فلقد اتخذت خطًا حاسمًا جدًا أثناء الحرب الباردة، لكن حربًا مثل هذه مدمرة جدًا على دولة مثل أمريكا).

هكذا رأى فايندر أن أمريكا لا تلاءمها الحروب، وذلك عكس (إسرائيل) التي لازالت إلى اليوم تمجد ضحايا المحرقة النازية، وتحقر هتر من خلال الأدب اليهودي، فنجد أبناء المهاجرين يستوحون قصص آبائهم، في رواياتهم، مثل رواية «العالم المرئي» ٢٠٠٧، للكاتب مارك سلوكا، ذي الأصول التشيكية، وابن أحد المهاجرين الناجين من (الهولوكوست).

قسَّم روايته إلى ثلاثة أقسام؛ الأول بعنوان «عالم جديد؛ ذكريات» فيه يروي الطفل التشيكوسلوفاكي، خلال الحرب العالمية الثانية، عن أجواء الجماعات المهاجرة، وخبرة المحاربين، الذين سقطوا معاقين بسبب الحرب، وتجسس أبناء الوطن لصالح الأعداء. ويدرك الطفل كل هذه الأحداث من منظوره، حيث نرى معه الجان تحت الماء، والعذارى تسحر في الغابة، وهي القصص المشتقة من القصص الخيالية التشيكية.

أما في الجزء الثاني؛ «براغ:الفاصل الموسيقي»، فينتقل الراوي إلى بيئة والديه، محاولاً معرفة المزيد عن ماضيهم، أو عن انتحار والدته. والجزء الثالث، والأطول في الرواية، يلجأ الراويإلى خيالاته، ليكمل الأجزاء المفقودة في قصة أمه، التي أحبت،

قبل الزواج، الشخص التي لن تستطع نسيانه، ورغم ذلك يبقى زوجها مخلصًا لها، وتتعرض لإضطرابات عقلية، تدفعها للانتحار تحت عجلات حافلة.

مثال آخر، هو ما كتبه الروائي الأمريكي نورمان ميلر ذو الجذور اليهودية، الذي مات، في نهاية ٢٠٠٧، بعد صدور الرواية، حيث شملت روايته «القلعة في الغابة» على سرد لحياة هتلر على لسان شيطان، فالرواية تعتمد على راوٍ يسمى ديتر، وهو أحد أفراد خدم الشيطان الكبير هنريك هيملر. قرر الشيطان ديتر التمرد ضد حاكمه وكتابة تاريخ ألويس شيكلجيوبر، الفلاح المولود في الجزء الشمالي من النمسا، في ١٨٣٧، وهو مولود غير شرعي، متوحش، عنيف، كما أنه نصف يهودي، تزوج ثلاث مرات أنجب فيهم ثلاثة أبناء ماتوا جميعًا في طفولتهم، وتزوج أخيرًا من كلارا التي أنتشرت إشاعات حول كون زيجتهم غير شرعية، أنجب منها «في الساعة السادسة ونصف من مساء يوم٢٠أبريل١٨٨٩، في عيد الفصح الكئيب ابنهم الرابع أدولف».

تحول ألويس فيما بعد إلى مولود شرعي، عندما محا قساوسة الأبرشية اسم شيكلجيوبر من سجل المواليد، وأحلوا محله «هتلر»، فأصبح اسم ابنه «أدولف هتلر». ولا تسرد رواية «القلعة في الغابة» قصة لشخص إبادة الملايين، لكنها قصة طفل تعلم الظلم من عائلته، فورث «أدولف هتلر» بعض الصفات عن أمه، كلارا، كالضعف، وإنعدام الثقة بالنفس، وبهذا كما يروي الشيطان «ديتر»، أنه كان هدفًا سهلاً، ليتم تدنيسه بالشر. وأخذ عن أبيه بعض عاداته الشاذة، حيث كان ألويس يستمتع بحبس النحل، كما كان يقضي الساعات مع ولده، تحت شجرة الكرز، يتابعان حركة النحل، ويستمعان لطنينه، ويشاهدان بإعجاب تحليق الملكة في

السماء، إستعدادًا لدورها الإجرامي في قتل زوجها، الذي ستنجب منه. وعندما أهمل ألويس إحدى خلايا النحل، بدأت تموت، وخاف من أن ينتشر المرض، فأحرقهم بالغاز. وعندما رحل تاركًا المنزل كان الابن؛ أدولف هتلر هو الذي يقوم بحبس النحل.

كلما كبر أدولف، طغى على الضعفاء في المدرسة والمنزل، الأمر الذي يتلاقى مع أهداف الشيطان الأكبر، فيأمر ديتر، قائلاً:« قويٌ شوكة الولد، أحفر رؤى القوة على أحلامه»، فيبدأ أدولف بمتابعة ألعاب رعاة البقر، والهنود الحمر، في الغابة، بالقرب من منزله. أما في المدرسة، فتأثر كثيرًا بقول فريدريك جان: «في المستقبل سوف نعتمد على ديكتاتور يحكم البلاد بالحديد والنار!»، وجلبت إحدى جمل فريدريك الدموع إلى عيني أدولف هتلر، وهي: «الناس ستكرمه؛ الديكتاتور، وتغفر خطاياه».

في الصفحة الأخيرة، يكشف ميلر عن معنى عنوان الرواية، فبترجمته إلى الألمانية، يصبح اسم الرواية «ساحة للتعذيب في معسكر الإعتقال في داتشو».

من خلال هذا الطرح لموضوع هتلر والمحرقة، تظهر طبيعة الفكر الأدبي اليهودي، الذي يركز على صراعه مع الآخر. ومن أبرز الأمثلة على ذلك تقديمهم للحرب اللبنانية على مسرح حيفا الإسرائيلي، بعد الحرب مباشرة، كما ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، ويستوحي العرض من قصص سكان المنازل الإسرائيلية على الخطوط الأمامية للحرب. لتكون المسرحية بعنوان «أبطال ضد إرادتهم»، وهي عبارة عن منولوجات، وحوارات لأفراد من كل الأعمار، والألوان، والمستويات، من الجماعات المقيمة على الخطوط الأمامية للمعركة. حيث وصلت الحرب إلى أبواب منازلهم، دون أن يسعوا إليها.

يقول أوديد فيلدمان، المسؤول عن المسرح: «لأن أبطال المعركة لم يكونوا الجنود فحسب، لكنهم، أيضًا، الناس في المنازل الأمامية الموجودة على خط النار، الناس الذين أُجبروا على حماية أطفالهم وأنفسهم، الذين تركوا منازلهم، أو اختبأوا في الملاجئ، فأعتقدنا أنه علينا أن نعبر لهم عن ذلك».

أما عن الشعر، فنكتفي هنا بوضع بعض أبيات قصائد عبرية، مثل :

■ من قصيدة للشاعر شمعون هلكين :

حين أقلع في الأبعاد الخفية

ولم أكُ بعد الإنسان نفسه

وحين نزلت، إلى شاطئ دنياي

كحمامة خرساء إزاء العذاب

تعرف إليك سري العتيق

وعرفك بجسدك النحيل دمي

تلاصقت في أعماق الخلود نفسانا

ولعنة حلت هناك على حبنا[1]

■ من قصيدة «امرأة» للشاعر شالوم شابير:

ابن لو كان لي، طفل، ذو نظرة مشعة هادئة،

اضمه عميقًا إلى صدري، كهزيع من ليل السعادة الدافئة

وأقبل كفيه الصغيرين لأن فيهما تتجدد الخلفية

(١) نعيم عرايدي، نافذة على الأدب العبري الحديث (١)، لبنان، دار المشرق،١٩٨٤، ص٥١.

obeikandl.com

وأنحني على جبهته متسائلة : هذا الطفل يفكر؟

وأحلم بأن أحرك مهده في الليل. آه...

وأن أقرب شفتيه إلى ثديي، أو أقتسم معه الرغيف

وأن أعرف مصدر الحياة - هذا المصدر الرئيف

ابن لو كان لي – أقلق لنومه في ذلك الصمت الكثيف

وأن أهرب معه – نحو البحر الأزرق الكبير

وأرمي بالثياب التي تضايقنا، وأحك قدمينا بالرمل المثير

وأقدم له صلفًا وأقول :يغطي بها الرب كلينا

وفجأة أقفز مع طفلي إزاء السماء والماء والنور

لأحس جسده في الموج كي نتطهر فهذا هو الطهر

ابن لو كان لي سأحمله على كفي وأمشي فوق الجسر[1]

◆ ◆ ◆

(١) المصدر نفسه، ص٦٦.

obeikandl.com

الإعـــــلام

«عندما كنا أولادًا، كان البحر ملكًا للجميع، والإعلانات تظهر فحسب على صفحات الصحف وأمواج الأثير. وكان من المتبع إغراء الزبائن بواجهات العرض الجميلة والمزينة، أما الشوارع، المباني، الحدائق، وأماكن الترفية، فكانت خالية من الإعلانات» هذه هي رؤية بامبي شيلغ، رئيس تحرير مجلة «إيرتس أحيرت»، لوضع الإعلانات في الإعلام والشوارع الإسرائيلية.

أضاف بامبي: «عندما كنا أولادًا، لم تكن هناك مراكز تجارية. ومن أراد شراء بعض الأغراض كان عليه أن يتوجه إلى مركز المدينة، يتجول بين الحوانيت، الكبيرة والصغيرة، ويشتري ما يحتاجه. وهذا ليس حنينًا تافهًا للماضي فحسب، لأنه يومًا ما، تغير المشهد رويدًا رويدًا، دون أن نلاحظ ذلك تقريبًا. أحدهم وضع حدودًا للبحر. شخص ما أحاط شاطئًا خاصًا به بسياج. شخص ما نظّم شاطئا لنفسه، وجعل الدخول إليه بدفع رسوم. شخص آخر حصل على امتياز على شارع خاص».

«دون أن يلفت الأمر انتباهنا، سيطرت الإعلانات على الشوارع، على الأرصفة، على الواجهات، على المباني، على محطات الوقود، على الحدائق، على الحفلات العامة، لقد قضت المراكز التجارية على الحوانيت في مراكز المدن؛ وشبكات التسويق قضت على الحوانيت التي لم توافق على أن تكون جزءًا من هذه الشبكة أو تلك. أصبحت هوائيات شركات الهواتف الخلوية جزءًا لا يتجزأ من المشهد البلدي، والمشهد البلدي بدوره، تحول إلى أسير تحت سيطرة جهات اقتصادية، وخاصة شركات الأموال غير المنقولة. المشكلة الوحيدة التي تخلقها هذه

التغييرات هي أن أحدًا ما لم يسألنا، نحن الجمهور، إذا كنا موافقين. لقد قرروا بدلاً عنا»[1]!

هذا عن القرارات الإعلانية، أما القرار الإعلامي في (إسرائيل)، فتتخذه سلطة الإذاعة والتلفزيون العامة، وهي عبارة عن مؤسسة عمومية مستقلة عن الحكومة، وتخضع لرقابة لجنة إدارية، تمثل معظم قطاعات الشعب والقوى السياسية، سواء من معسكر الائتلاف الحكومي أوالمعارضة[2].

ينفرد النظام الإعلامي الإسرائيلي بنشأته السابقة على الدولة[3]، حيث شكلت الإذاعات التي أقيمت في فلسطين، في فترة الانتداب البر نبل قيام الدولة الصهيونية، الأساس الذي قام عليه راديو «صوت إسرائيل»، فيما بعد، وهذه الإذاعات هي (دار الإذاعة الفلسطينية. الإذاعة الصهيونية السرية التي منها إذاعة الهاجاناه، وإذاعة «صوت إسرائيل» أو كول إسرائيل، إذاعة صوت صهيون المحارب[4]، إذاعة الانتداب البريطاني (١٩١٩)، والتي استمرت حتى العام ١٩٤٨[5].

---

(١) بامبي شيلغ، <http://www.albyan.net/acheret/issues/issue29.htm>، ١٠/١/٢٠٠٨.

(٢) أنظر الموقع الإلكتروني لراديو «صوت إسرائيل»: <http://arabic.iba.org.il/>.

(٣) نجلاء فؤاد حسن، الدعاية في راديو صوت إسرائيل الموجه بالعربية؛ دراسة تحليلية لعينة من النشرات والبرامج الإخبارية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم إذاعة، ١٩٨٧، ص١٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٥) المشهد الإسرائيلي، ندوة حول الإذاعات الناطقة بالعربية في إسرائيل: بين القانون وحرية التعبير، <http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/printtemp.asp?articalid=1333>، ٢٠/١٢/٢٠٠٦

من أهم الإذاعات الإسرائيلية الحالية «صوت إسرائيل»، التي تدير ثماني شبكات للراديو، وتقدم برامجها بـ١٧ لغة. وهناك محطة «جيش الدفاع الإسرائيلي» الموجهة للجنود، بكل أنواع وأشكال البرامج والموضوعات [١].

أضيفت إذاعة جديدة، عام ٢٠٠٧، كما أوردت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، حين حصلت الدولة الإسرائيلية على تصريح من السلطات الفلسطينية بتأسيس محطة راديو جديدة، بالإنجليزية، لتلعب دورًا في الحوار الفلسطيني–الإسرائيلي. وتبث برامجها من رام الله والقدس، وتتوجه إلى دول الشرق الأوسط. وأنتوت أن يكون العاملون بها من كافة دول العالم.

أما بالنسبة للتليفزيون، فقد بدأ عام ١٩٦٧، ليقدم برامجه التربوية، والترفيهية، بالعبرية، والعربية، والإنجليزية. ويدفع الإسرائيليون اشتراكات شهرية للتليفزيون، حوالي ٩٠٠ مليون شيكل لتمويل بث القناة الأولى [٢]. وتوجد اليوم قناتان تديرهما الدولة تعرضان برامج تربوية وترفيهية باللغات العبرية والعربية والإنكليزية. وهناك قناة تجارية تم تدشينها عام ١٩٩٤ [٣].

استهدف الكيان الصهيوني الخروج بإعلامه لنطاق أوسع، فأطلق قمره الصناعي في ٢٦ يوليو ١٩٧٢، ليقدم من خلاله قنواته التليفزيونية، ومحطات الراديو [٤].

---

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/Culture/CULTURE-%20Media، ٢٠٠٧/١١/٢٩

(٢) FROM THE ARCHIVES - A BRIEF HISTORY OF RADIO IN THE COUNTRY، <**http://www.israelradio.org/history/history.html**>، 23/5/2007.

(٣) وسائل الإعلام،
<http://www.altawasul.net/MFAAR/this+is+israel/culture/media.htm>
، ٢٠٠٨/٦/٤

(٤) FROM THE ARCHIVES - A BRIEF HISTORY OF RADIO IN THE COUNTRY، <**http://www.israelradio.org/history/history.html**>، 23/5/2007.

واتجه بإعلامه إلى القارة الأوروبية في مطلع عام ١٩٨٨ عندما بث قناة تليفزيونية فضائية إسرائيلية، باسم قناة «شالوم»، إلى كل من باريس، ولندن، وموسكو. وذكرت (إسرائيل) أنها كانت لمرة الأولى التي خصصت فيها التليفزيونات الأوروبية قناة للبرامج اليهودية، لتذيع على المشاهدين الأوروبيين ما يتم إذاعته في الوقت نفسه على المشاهدين الإسرائيليين، لتكون هذه القناة متاحة للمشاهدين، باشتراك مالي من خلال شركات البث، بواسطة الكابلات، أو من خلال الأقمار الصناعية، وتنقل هذه القناة بثًا مباشرًا من التليفزيون الإسرائيلي للأحداث الرئيسية، التي تجري في (إسرائيل)، وباللغات الثلاث؛ العربية، والفرنسية، والإنكليزية [١].

أما بالنسبة للمنطقة العربية فظهرت قنوات إسرائيلية موجهه إلى العرب إثر حملة إسرائيلية استهدفت خصخصة قطاع الإعلام التلفزيوني، وتوسيع القطاع الإعلامي الخاص، ونتيجة لذلك أقامت (إسرائيل) أربع قنوات تجارية، أطلق عليها «ريشتوت يعودينيوت» أي شبكات ذات هدف محدد، وهي قناة للروس، وثانية للموسيقى، وثالثة للعرب، ورابعة للمتدينين.

رسائل إعلامية أخرى باللغة العربية أطلقتها (إسرائيل) في قنواتها الفضائية منذ عام ١٩٦٧ [٢]، عبارة عن ثلاث قنوات موجهه إلى المنطقة العربية، على قمر (الانتلسات ٥ أي أف ١٢ INTELSA TV AF 12)، وهي:

القناة الإسرائيلية الأولى ISR.TV1.

القناة الإسرائيلية لثانية ISR.TV2.

القناة الإسرائيلية الثالثة ISR.TV3.

(١) أنظر أياد شكري البكري، حرب المحطات لفضائية، القاهرة، دار الشروق،١٩٩٩

(٢) <www.sis.gov.ps/arabic/roya/16/page5.html -43>.

تبع ذلك إطلاق (إسرائيل) لقمرها الصناعي عاموس في ١٨ مايو ١٩٩٦، لتروج عن طريقه لإذاعاتها وقنواتها الموجهة، ولتتمكن من التغلب على عائق التشويش، الذي واجهته في بعض البلدان العربية[١].

أما عن الصحافة الإسرائيلية، فهناك حوالي سبع صحف بالعبرية، تنشر يوميًا في (إسرائيل)، بالإضافة للعديد من الصحف التي تنشر بالروسية، والفرنسية، وتنشر جريدتان بالإنجليزية (هما جيروسالم بوست، التي كانت تعرف باسم بالستين بوست، والطبعة الإنجليزية من صحيفة هآرتز)، بالإضافة لمئات المجلات.

ظهر مؤخرًا صحف إسرائيلية مجانية، تواكب الحركة الصحفية العالمية التي تسعي بالخروج بالصحافة إلى ساحة المجانية، ويوجد عدد منها في (إسرائيل)، مثل الصحيفة اليومية المجانية «يسرائيل هيوم»، التي بدأت تصدر منذ شهر يوليو ٢٠٠٧ من الأحد إلى الخميس، ومعناها «إسرائيل اليوم». صحيفة مجانية يومية أخرى هي «مترو يسرائيل»، وتصدر منذ أغسطس ٢٠٠٧.

يقيّم تلك الصحافة المفكر الإسرائيلي باري شميش قائلاً: «الصحافة الإسرائيلية متخمة بقصص الفساد، والمرض الاجتماعي... فالمراسلين الأجانب ينقلون له ما يدور في إسرائيل بصورة سيئة ومغلوطة جدًا. إن مؤسسات النشر الرئيسية لا تعين رؤساء إسرائيليين لمكاتبها هناك، بل تقوم بدلاً من ذلك بإيفاد موظفيها من جنسيات أخرى إلى إسرائيل، في مهمات محددة، مدتها سنتين أو ثلاث سنوات، وهؤلاء الصحفيون لا يتكلمون العبرية بتاتًا، وإنما يعتمدون على صلاتهم بأسلافهم، الذين أنهوا مهمتهم، فيأخذون عنهم بعض المعلومات، ويستمرون في

(١) FROM THE ARCHIVES - A BRIEF HISTORY OF RADIO IN THE COUNTRY، <http://www.israelradio.org/history/history.html> 23/5/2007.

التخبط في عملهم مع بقائهم مشوشي الأفكار، في حين أنهم يتظاهرون بإمتلاكهم خبرة ودراية بقضايا إسرائيل، وهم يركزون بصورة أساسية، على القضية الفلسطينية، ويفوتهم التنوية بالكارثة الحقيقية التي تحيق بهم»[1].

للرقابة مشكلة أخرى روى عنها أشرف العجرمي، المتحصص في الشؤون الإسرائيلية، قائلاً: «ثمة في إسرائيل رقابة على وسائل الإعلام، لكنها رقابة (عسكرية)، على غرار قانون الطوارئ البريطاني، حيث لا تخرج أي مادة، إلا إذا مرت على مقص الرقيب العسكري، وخفت حدة هذه الرقابة، تدريجيًا، بعد الاتفاق على ما يسمى بـ (لجنة المحررين) المعنوية، حيث تم الاتفاق على أن أي مادة تخص الأمن تعرض على الرقيب، إلا أن الصحفيين الإسرائيليين رفضوا هذا المبدأ، واعتبروه عارًا على إسرائيل، التي تدَّعى الديمقراطية، أن يكون فيها رقابة عسكرية، ولو شكلية، لذلك لجأ الصحفيون الإسرائيليون إلى نشر الأخبار التي تتعلق بالأمن الإسرائيلي في الصحف الأجنبية، ومن ثم يتم نقلها إلى الصحف العبرية»[2].

كما يتعرض الإعلام لبعض الانتهاكات الأخرى، مثل التي ذكرها بامبي شيلغ، رئيس تحرير مجلة «إيرتس أحيرت»: «هناك وضع غير معقول في سلطة البث عامة وفي القناة الأولى خاصة. حيث تحدث تحت غطاء القانون أمور خطيرة من الناحية الأخلاقية، ويتم تعيين أشخاص غير ملائمين في الوظائف الكبيرة. والصورة التي نراها على الشاشة، في الراديو، وفي الصحف تكون في الكثير من الأحيان مشوّهة: صفراء، آحادية الرؤية، وتعرض قصة معقدة من بعد واحد.

(١) شميش، مصدر سبق ذكره، ص١٣.

(٢) وكالة قدس نت للأنباء،
http://www.qudsnet.com/arabic/news.php?maa=PrintMe&id=23345،
٢٧/١١/٢٠٠٦.

وفي الوقت الذي بدأت فيه سلطة البث تفقد مكانتها المهنية شيئًا فشيئًا، ازدادت سيطرة الجهات الخاصة على (سوق) الإعلام، بشكل يكاد يكون حصريًا. وبالمقابل يصبح البث العام شيئًا فشيئًا أسيرًا بين أيدي الأجهزة السياسية، ويفقد قدرته على تحقيق هدفه الأساسي؛ خلق حوار عام حر حول المسائل المصيرية.

«إننا حقيقة في هذه الأوقات الحرجة، لا نحظى بوسائل إعلامية جماهيرية يمكنها إجراء نقاشات متعمقة وحرة حول المسائل الهامة المتعلقة بمستقبل المجتمع، خاصة وأن الخطاب الوطني عالق في شبكة المصالح السياسية أو التجارية، تهدّد مستقبل الديمقراطية الإسرائيلية تهديدًا حقيقيًا.

إن الفجوة الكبيرة التي نشأت في الحوار العام بعرضه وعمقه، يجعل الكثيرين منا يؤمنون بأن مجتمعنا آخذ في التعفن»[1].

يضاف إلى ذلك الوضع خسارات إعلامية إسرائيلية أخرى، مثل وفاة الصحفي الإسرائي2لي يوري دان Uri Dan، في ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٦، بعد صراع طويل مع سرطان الرئة، بسبب التدخين. وعُرف دان بعلاقته القوية برئيس الوزراء الأسبق، آريل شارون، فكتب العديد من الكتب والمقالات عن حياة شارون، حتى إنه صرح لأحد الصحفيين في توقيت نجاح شخصية هاري بوتر، قائلاً: «الناس لم تعرف بعد أهمية (شارون بوتر)».

(١) بامبي شيلغ، <http://www.albyan.net/acheret/issues/issue21.htm>، ١٠/١/٢٠٠٨.

يذكر أن دان كان من مؤيدي قرارات شارون، خاصة الانسحاب من غزة. وبعد غيبوبة شارون، وبعد تطوير إيهود أولمرت لخطة الانسحاب من الضفة الغربية استخدم يوري قلمه، لمهاجمة ما يحدث.

مات، أيضًا، في سبتمبر ٢٠٠٧، أحد الرواد الصحفيين الإسرائيليين، هو إسرائيل سيجال، عن عمر يناهز الثلاثة والستين، نتيجة لهبوط في القلب، بعد بقائه في المشفي لمدة أسبوع.

إسرائيل سيجال

فريدلايندر

أما عن الأخبار الإيجابية في عالم الكتابة، فتم تكريم المؤرخ الإسرائيلي؛ سول فريدلايندر، في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، بجائزة السلام لتوثيقه للمذابح النازية.

حصلت الصحافة الإسرائيلية على جائزة أخرى، تمثلت في فوز المصور الإسرائيلي أوديد باليلتي Oded Balilty، في عام ٢٠٠٧، بجائزة بوليتزر(*) عن صورته التي التقطها للشرطة الإسرائيلية، أثناء تصديها لأحداث شغب في الضفة الغربية، وهي تدفع إحدى اليهوديات التي تقاومهم بكل قوتها.

(*) جائزة بوليتزر: هي جائزة تقدمها جامعة كولومبيا بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، سنويًا، في مجالات الخدمة العامة، والصحافة، والآداب، والموسيقى. وتحظى هذه الجائزة، التي تمولها، في الأساس، منحة من رائد الصحافة الأمريكي؛ جوزيف بوليتزر بتقدير كبير، وتمنح في شهر مايو من كل عام، منذ عام ١٩١٧.

الصورة الفائزة

«صوت إسرائيل باللغة العربية kol Israel»[1]

المذيع
شادي بلان

«تعرف عليَّ عدد كبير من المستمعين الجدد، الذين يسمعون هذه الإذاعة في أماكن لم يكن صوتي وشخصيتي الإعلامية يصلهم»[2]، وفقًا لكلام شادي بلان قد تبدو إذاعة «صوت إسرائيل» فرصة للبعض، وهي الفرصة التي اقتنصها شادي منذ عام ٢٠٠٦، بعد عمله في عدة إذاعات أخرى، ليقدم في «صوت إسرائيل» سلسلة من البرامج الفنية الثقافية. وبهذا رغم كون تلك الإذاعة متنفسًا للبعض الذين يحصلون من خلالها

(١) أنظر الموقع الإلكتروني لراديو «صوت إسرائيل»:
<http://arabic.iba.org.il/>

(٢) يا هلا، نفتقد الفرص لتقديم برامج تلفزيونية تثير اهتمام المشاهد
http://online.yahala.co.il/Interview/article.php?id=73&yahala=2، ٢٠٠٧/٥/٢٩

على فرصتهم في العمل بالإعلام، فإنها من زاوية أخرى خطرة، وعدائية، توجه رسائلها، وفقًا لمنطق مدروس.

كانت البداية في ١٣ مارس ١٩٤٠، عندما أسس «الهاجاناه» راديو ناطق باسمها يدعي «صوت إسرائيل». وعند إعلان ما يسمى بـ (دولة إسرائيل)، في ١٤ مايو ١٩٤٨، أصبحت إذاعة «صوت إسرائيل» هيئة حكومية، تابعة لوزارة الداخلية. ليتم إنشاء بعد ذلك (١٩٥٨) الشبكة العربية، باسم «صوت إسرائيل»[١] (*). واختير مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية كمقر لدار الإذاعة الإسرائيلية، حتى العام ١٩٦٥ [٢].

يُذكر أن البث الإذاعي لـ «صوت إسرائيل» باللغة العربية كان يُلتقط، منذ عام ١٩٩٥، في كافة بلدان الشرق الأوسط، عن طريق محطات تقوية منصوبة في مدينة رام الله، وسط الضفة الغربية، غير أنه، كجزء من اتفاقات أوسلو، نقلت تل أبيب محطات التقوية إلى السلطة الفلسطينية [٣]. فقامت وزارة الإتصالات الإسرائيلية بنقل تردد محطتها على ٧٠٢ kHz، والتي كانت تستخدمها، أيضًا، محطة

---

(١) FROM THE ARCHIVES - A BRIEF HISTORY OF RADIO IN THE COUNTRY، <http://www.israelradio.org/history/history.html>، 23/5/2007.

(*) يُختلف حول تحديد تاريخ نشأة إذاعة راديو «صوت إسرائيل»، فيرى البعض، أن أساسها بدأ من عام ١٩٤٠، وآخرون يقرون بإنطلاقها في ١٩٥٨، بينما يعتقد البعض الثالث أنها بدأت ١٩٦٨..وأخترنا هنا تاريخ ١٩٥٨، لأنه هو التاريخ الوارد في موقع «راديو إسرائيل»، حيث أعتمد الموقع هذا التاريخ لنشأة «صوت إسرائيل» بالعربية. (المؤلفة).

(٢) المشهد الإسرائيلي، ندوة حول الإذاعات الناطقة بالعربية في إسرائيل: بين القانون وحرية التعبير http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/printtemp.asp?articalid=1333، ٢٠٠٦/١٢/٢٠.

(٣) http://www.islamonline.net/Arabic/news/2001-05/16/article7.shtml

«القدس»، فتداخلت المحطتان معًا، بشكل سيء، وكان الإرسال رديء جدًا[١]، كما استمر آخرون في الاقتطاع من نفقتها، وإغلاق هوائيات بثها. ونتاج ذلك أصبح راديو «صوت إسرائيل» يُلتقط بصعوبة في (إسرائيل نفسها)[٢]، كما اضطرت المحطة إلى خفض قوة إرسالها، بسبب الشكاوي التي تقدم بها السكان، خوفًا من تعرضهم لخطر الإشعاعات[٣]. وبعد فترة استطاع راديو «صوت إسرائيل» العودة إلى تردده الأول (٦٧٥ kHz)[٤].

بدأ التواجد القوى لإذاعة «صوت إسرائيل»، كما ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية (١٥/ ٥/ ٢٠٠١) بأن شارون أوعز إلى وزير الاتصالات في حكومته؛ روبي ريفلين، دراسة مدى جدوى إقامة محطة إرسال عملاقة، تقوم ببث إذاعة «صوت إسرائيل» باللغة العربية في جميع بلدان الشرق الأوسط، بحيث تقدم ردًا إعلاميًا على ما وصفه (حملات التحريض)، التي تقوم بها جهات فلسطينية وعربية، وهدف هذه الإذاعة

---

(١) The History of Radio in Israel،
<http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/radio.html>
29/5/2007.

(٢) غي باخور، صوت إسرائيل / يديعوت أحرونوت،
<http://www.alasra.ps/news.php?maa=View&id=183> ٣-٩-٢٠٠٦.

(٣) تل أبيب تنشيء إذاعة عربية لمواجهة الدعاية المناوئة!،
<http://www.islamonline.net/Arabic/news/2001-05/16/article7.shtml>،
٢٩/ ٥/ ٢٠٠٧

(٤) The History of Radio in Israel،
<http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/radio.html>،
29/5/2007.

هو تحسين صورة حكومة شارون في العالم العربي [١]. فمولت تلك الإذاعة من قِبَل وزارة الخارجية الإسرائيلية بالتعاون مع المخابرات العسكرية وصوت صهيون الموجه ليهود الشتات [٢].

لتكون الخدمة العربية هي الخدمة الوحيدة التي يتم إعداد المواد الإخبارية لها بعيدًا عن الإدارة المركزية للأخبار، ويتولى هذه المهمة دائرة خاصة، وهي دائرة العلاقات السياسية العامة. وتضم خبراء في علم النفس، والشئون العربية. وتقوم الإدارات المدنية وكل من وزارتي الدفاع والخارجية بإمداد ذاك القسم بشكل مستمر بالمعلومات.

من الشخصيات التي تمت الاستعانة بها في التقديم في إذاعة «صوت إسرائيل» ؛ إبراهيم الشويكي، وهو يهودي مصري، كان أستاذًا للغات السامية بجامعة عين شمس، وسكرتيرًا للحاخام الأكبر في مصر، قبل هجرته إلى (إسرائيل)، ثم داود الناطور، وكان يقدم برامجه باللهجة العامية، ويعمل في مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، ثم بدأت الإذاعة في استخدام عناصر فلسطينية. ويشترط في العربي العامل في الإذاعة الإجادة التامة لكل من العربية والعبرية.

سنحاول التطرق لدور الإذاعة، على مدار المراحل التاريخية، كالتالي:

- في الفترة السابقة على عام ١٩٣٦، أولت الدعاية الصهيونية إهتمامها للقوة

---

(١) تل أبيب تنشىء إذاعة عربية لمواجهة الدعاية المناوئة!،
<http://www.islamonline.net/Arabic/news/2001-05/16/article7.shtml>،
٢٩ / ٥ / ٢٠٠٧.

(٢) سامي محمد ربيع الشريف، دراسة تحليلية مقارنة للبرامج السياسية الموجهه باللغة العربية من هيئة الإذاعة البريطانية وإذاعة صوت أمريكا، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية إعلام، قسم صحافة، ١٩٨١، ص٨٩.

العالمية أولاً، في محاولة تدعيم حركة الهجرة، ثم إلى المهاجرين اليهود داخل فلسطين، في محاولة لتعزيز الاستيطان.

• أما خلال حرب ١٩٤٨، فأثارت الإذاعة المخاوف عن اقتحام القرى العربية، وتم نشر الشائعات حول انتشار الأمراض، وقيام الأطباء العرب بالفرار، وبدأت في بث إذاعات، بلهجة أهل المنطقة، حتى تبدو وكأنها إذاعات عربية، صادرة من الدول العربية المجاورة.

• بعد قيام (إسرائيل)، وفي بدايات ١٩٥٥، استُخدم الراديو للتوجه إلى جمهور المهاجرين في الداخل. وأسهمت الإذاعة في إيجاد قنوات مباشرة للاتصال بين المسئولين والمهاجرين. وتمتعت بحرية محدودة للغاية، وخضعت برامجها للرقابة الشديدة.

• شهدت فترة ما بين عام ١٩٥٥ وحتى بدايات ١٩٦٧، تحولاً في السياسة الدعائية تجاه العرب، واتخذت سمة أكثر هجومية، من خلال الحديث عن «إسرائيل التي يتهددها العرب»، وروجت لمفهوم الحرب الوقائية، وظهرت أهداف (إسرائيل) التوسعية.

• مع بداية حرب ٦٧ ازدادت ساعات الإرسال، حتى وصل ١٤ ساعة يوميًا، وتسع ساعات وربع في الفترة المسائية. ووجهت نداءات إلى سكان الضفة، والجولان، وسيناء، تدعوهم إلى الاستسلام، ورمي السلاح، كما قدمت برامج تحيات الأسرى إلى ذويهم. والتزمت الإذاعة، طوال الحرب، ببث برامجها المعتادة، دون تغيير. وقدمت أخبار الحرب، خلال النشرات المعتادة، مما أظهرها بمظهر الاستقرار. من البيانات المذاعة «بيان ٩ يونيو ١٩٦٧»، حين دعت الشعب السوري للإطاحة بالنظام القائم. وألقت منشورات على دمشق، تقول بأن عدو الشعب

السوري موجود بدمشق، ووعدت بأنه إذا تم تدمير هذا العدو بأيدي الشعب السوري، فإن الهجمات على سوريا سوف تتوقف، وستنسحب القوات الإسرائيلية إلى مواقعها الأصلية. وطوال الحرب قامت مصر بالتشويش على الإذاعة.

• في أعقاب حرب ١٩٦٧، بعد الانتصار الذي حققته (إسرائيل) في الحرب، عملت على إيجاد منطق دعائي جديد، بعيدًا عن فكرة (إسرائيل الصغيرة)، التي تدفع عنها العرب، الذين يكنون لها العداء. فأستهدفت تحطيم الثقة العربية في النفس، وفي القيادات، وفي أجهزة الإعلام العربية، ومن أهم ما قدمته من برامج خلال هذه الفترة: حديث العم حمدان (وهو مواطن مصري، من عامة الشعب، محدود الثقافة، ويتناول في برنامجه التعليق على مختلف المشاكل التي يعاني منها المصريون. ويستخدم حمدان في حديثه الأمثال الشعبية المصرية). وحديث ابن الرافدين (وهو شيخ عراقي، يماثل حديث العم حمدان)، حديث أبو مطاوع (وهو شيخ شامي)، (الكلمة اليتيمة)، أيضًا، نموذج لاستغلال الدعاية الإسرائيلية حتى للأغاني العاطفية الخالية من أي مضمون سياسي، فقد كان البرنامج يبدأ بمطلع من أغاني عاطفية، يتلوها مقاطع من أحاديث للحكام العرب، ويعقب عليهما مذيع باللهجة المصرية.

• أما في مرحلة حرب أكتوبر ١٩٧٣، فبدأت الإذاعة في التهوين من شأن ما حققه العرب من انتصارات، وانتقاء الأنباء التي تعكس صورة مشرقة وإيجابية عن (إسرائيل). ولإضعاف الروح المعنوية العربية، عمدت الإذاعة إلى نشر شائعات، حول عدم توافر المواد الغذائية. وقامت بالتعتيم على أنباء المقاومة الفلسطينية

• بدأت مرحلة إعلامية مختلفة بزيارة السادات إلى القدس (١٩/ ١١/ ١٩٧٧)، فقامت الإذاعة بتغطية زيارات القدس، وبدا التعاون بين

الإذاعة الإسرائيلية وبين أجهزة الإعلام المصرية، مع وصول وفد إذاعي مصري، مكون من ١٢ فردًا، برئاسة السيدة همت مصطفى، رئيس التليفزيون المصري آنذاك. وقام راديو «صوت إسرائيل» بمد ساعات إرساله إلى ٢٤ ساعة، وذلك على خدماته الخمس، واللغات المختلفة.

على المستوى الثنائي بين مصر و(إسرائيل)، توقفت مصر عن التشويش على البرنامج العربي للإذاعة الإسرائيلية، عام١٩٧٩. وفي ١٦/ ٣/ ١٩٨٣ أذاع راديو «صوت إسرائيل».

- في فترة الحرب على لبنان (١٩٨٢)، حرصت الإذاعة على تقديم الأنباء التي تتحدث عن الخلافات، واهتمت بأنباء الإشتباكات العسكرية بين الميليشيات المتناحرة. ولم تذكر الإذاعة أي أنباء عن التواجد العسكري الإسرائيلي في لبنان[١].

- استمر خطر تلك الإذاعة، حيث أوضحت معالجتها الإخبارية لأحداث الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، الدور الدعائي الخطير الذي تلعبه إذاعة «صوت إسرائيل»، حيث لم يطلقوا لفظ المتظاهرين، بل أسموهم بـ(المخلين بالنظام ،الشباب الملثم ، المشاغبين المجهولين، راشقي الحجارة)، كما ركزت الإذاعة على إيراد الأنباء التي تتحدث عن «قيام الجنود الإسرائيليين بإسعاف المصابين الفلسطينيين»[٢] !

- عن أحداث بيت حانون، يوم الأربعاء ١/ ١١/ ٢٠٠٦، تجاهلت التقارير المباشرة حول المجزرة، وحول هويات وعدد الشهداء من الأطفال والنساء، واكتفت بنقل ما يقوله القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون حول أن ما

(١) د.سامي الشريف، المعالجة الإخبارية للقضايا العربية في إذاعة صوت إسرائيل،القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ١٩٩٠، ص١١٠-١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

وقع مجرد خطأ فني، وكان من ضمن أخبارها: «يفيد مراسلنا، شمعون أران، أن إسرائيل عرضت على السلطة الفلسطينية مساعدات إنسانية طارئة، وتقديم العلاج الطبي الفوري للجرحى، وتواصل سلطات جيش الدفاع التحقيق في ظروف هذا الحادث»[1]!

• بشكل معاصر لأوضاع الإذاعة اليوم، فإنها تهتم بأخبار الدول والمنظمات العربية. وتحرص على تقديم كم أكبر من الأنباء السلبية عنها، وأختلفت المعالجة الإخبارية باختلاف مواقفها من الصراع العربي الإسرائيلي، وطبيعة علاقتها بـ(إسرائيل). وعمدت لإبراز وجهات النظر العربية المؤيدة لسلام والصلح مع (إسرائيل)، في حين أهملت الرؤى الأخرى[2]. وقدمت ذلك من خلال البرامج المتنوعة الجذابة للشباب، وأهتمت بالأغاني وخصصت فترات لمطربين، مثل عبد الحليم، وأم كلثوم، وكاظم الساهر، وعمرو دياب، ولطيفة، وغيرهم.

◆ ◆ ◆

(١) مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، التقرير الإعلامي السابع؛ بيت حانون وإذاعة إسرائيل الناطقة بالعربية،
http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/studies/b/studies_33.html
، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٧.

(٢) الشريف، مصدر سبق ذكره، ١٩٩٠، ص ١٠٤-١٠٧.

obeikandl.com

من مذيعي إذاعة «صوت إسرائيل» الحاليين:

زهير فرنسيس

جورجيت نوفي

صالح بكري

رهام حمادي

ريمون خوري

تشارلي شعبي

■ التصدي العربي لإذاعة «صوت إسرائيل»:

شهدت فترة الستينيات أعلى بث إذاعي موجه إلى فلسطين والأراضي المحتلة؛ فقد كانت تعمل من القاهرة وحدها ثلاث إذاعات فلسطينية، كما أدخلت العراق (١٩٦٩) الخدمة الموجهه إلى (إسرائيل)، بالعبرية، وأضاف الأردن الخدمة التليفزيونية الموجهة إلى إسرائيل، في عام ١٩٧٢، وتعرضت الإذاعة الإسرائيلية في

القدس، في سبتمبر ١٩٦٩، للمحاولة الثانية لنسفها[١].

بدأ في مصر إنشاء البرنامج العبري، عام ١٩٥٤، واستمر طوال مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، وبلغ عدد ساعات إرساله ١٧ ساعة، يوميًا، حتى تم توقيع معاهدة «كامب ديفيد» عام ١٩٧٩، فطلب مناحم بيجن -رئيس وزراء إسرائيل- من الرئيس السادات تخفيض ساعات إرسال ذلك البرنامج. إذ كان رأى بيجن، أن أول مظاهر السلام وقف الحرب الإعلامية الدعائية بين مصر و(إسرائيل)، وتهيئة الرأي العام لتقبل فكرة (السلام). فتم، بالفعل، تخفيض عدد ساعات البرنامج العبري الموجه من القاهرة إلى (إسرائيل)، من ١٧ ساعة إلى ساعتين فقط. وتم رفعها إلى ٧ ساعات في سنوات لاحقة[٢].

◆◆◆

(١) حسن، مصدر سبق ذكره. ص١٨٠.

(٢) د.عبد الله زلطة، الإعلام الدولي في العصر الحديث، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٣ ص٨٤-٨٥.

obeikandl.com

السينما

تجارب إسرائيلية شائكة تم التعبير عنها، منذ بدأت صناعة السينما في (إسرائيل) في الخمسينيات، فقدمت حكايات الناجين من المحارق النازية، والمهاجرين الجدد إلى (إسرائيل)، و«المواجهة العربية-الإسرائيلية»[1]، وظلت شخصية العربي في أغلب الأفلام الإسرائيلية علامة استفهام كبرى!

لا يرتبط الإسرائيليون بالسينما الإسرائيلية فحسب، بل بالأمريكية، أيضًا، حتى إن صحيفة «يديعوت أحرونوت» قامت بعقد مقارنة بين شباب إسرائيلي ونجوم أمريكيين، وجدت أوجه شبه بينهم، بعنوان «هوليود هنا، النسخة الإسرائيلية».

النظير الإسرائيلي عفير دورون الأصل الممثل الأمريكي ينثورث ميللر

عفير بيكير النجم توم كروز

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/Culture/CULTURE-%20Cinema. ٢٠٠٧/١١/٢٩،

يوسي جانون النجم براد بيت

أوهاد ويتينستين النجم مات دامون

عساف بولينوفسكي النجم إدوارد نورتون

لذا فثمة رابطة بين (إسرائيل) وهوليود، لدرجة أن إحدى الإحصائيات أثبتت، في ٢٠٠٧، تزايد أعداد الأطفال الذين يسميهم أباؤهم تبعًا لأسماء فناني هوليود، كما ذهب الكثير من هؤلاء الفنانين لزيارة (إسرائيل)، مثل الإعلامية أوبرا وينفلي، التي أعلنت عن قيامها بزيارة تضامنًا مع (إسرائيل)، لتعاطفها معها، وكان إعلانها يوم الأثنين ٢١ مايو ٢٠٠٧، في احتفالية في فندق والدورف أستوريا بمنهاتن.

المطربة مادونا، أيضًا، تقوم بزيارات إلى (إسرائيل)، وفي زيارتها الأخيرة، في سبتمبر ٢٠٠٧، كانت تبحث عن شقة في تل أبيب سعرها حوالي مليون دولار، لتقيم فيها عند ذهابها إلى (إسرائيل)، وفي التوقيت نفسه كانت الممثلة ديمي مور

والممثل أستون كوتشر يبحثان عن شقة في (إسرائيل)، حيث جاء ثلاثتهم للاحتفال برأس السنة اليهودية، في مركز الكابالاة(*). وقد اعتنقت مادونا الكابالاة، عام ١٩٩٧، في مركز في لوس أنجلوس. وفي زيارتها السابقة لـ(إسرائيل)، في ٢٠٠٤، حصلت مادونا على اسم عبري، هو إستر، وبدأت تراعي حرمات السبت، على الرغم من عدم تحولها لليهودية، ومع ذلك رفض اليهود الأورثوذكس تحولها، لأنهم أعتبروه تدنيسًا، لأن دراسة الكابالاه وقف على أي رجل متزوج، فوق الأربعين، دارس التلمود، لأعوام طويلة.

مادونا في مركز الكابالاه، ويُلحظ وجود الشريطة الحمراء في اليد اليسرى للمرأة الجالسة إلى جوارها وهي علامة على اعتناقها الكابالاه، وحولهم يهود متدينون يرتدون الكيباه والصورة الثانية مادوانا مع بيريز، في زيارتها الأخيرة لـ(إسرائيل)

قامت (إسرائيل) في الفترة الأخيرة بتطوير دور السينما، حيث بدأت، في سبتمبر ٢٠٠٧، التجهيز لإقامة ثاني مجمع للسينما بها، والذي يتكلف ٢٠٠ مليون شيكل، على يد شركة جازيت جلوب للبناء، ويُتوقع أن يحصد المشروع ربحًا سنويًا ١٨ - ٢٠ مليون شيكل.

(*) مركز الكابالاه هو مركز للتصوف اليهودي، يقوم مذهبه على أن كل شيء يحمل رمزًا، وأن الكلمات تحمل بداخلها قوة، إذا عرفنا كيف نستخدمها.

أما عن موضوعات الأفلام الإسرائيلية، فمثّل هتلر والنازية قضية هامة، ناقشتها عدة أفلام، منها فيلم «جحيم هتلر وموت الخنزير»، الذي كتبت عنه صحيفة «يديعوت أحرونوت»، قائلة: «تزامن مع عرض الفيلم صدور الرواية بعنوان الفيلم، الذي يحمل الكثير من النكات، التي كان يتهامس بها الألمان، دون أن يستطيعوا التفوه بها تحت حكم النازي، الذي حكم الدولة بالحديد والنار. فالفيلم محمَّل بالكثير من المواقف المهينة لهتلر، كالموقف الذي أنفجرت فيه إطارات سيارته، وذهب بنفسه لأحد المزارعين لإحضار دجاجة، وبعد دقيقتين عاد هتلر، بعد أن ضربه المزارع على مؤخرته، بينما عندما ذهب سائقه عاد محملاً بأشياء كثيرة، فسأله هتلر ماذا فعل؟، فقال: لقد قلت له: «جهنم لهتلر، لقد مات الخنزير»!

بعد عرض الفيلم علق مخرجه الألماني، رودلف هيرزوج، قائلاً: «مع مرور الوقت، قد نتغير، ولكن والديّ لايزالان يذكران الحرب كأنها حدثت أمس، وجيلنا هو جيل أحفاد الحرب. وإذا كان كل شيء انتهى وأبدًا لن يحدث من جديد، فعلينا أن نضعه نصب أعيننا، دائمًا، في كل خطوة نخطوها في الحياة. وأنا أعرف أنه ليس من السهل النظر للماضي، سواء كان يمثل لنا دعابة، أو موقفًا ثقيلاً».

مشهد من "التسامح"

لم تخل الأفلام مما هو مثير ومخالف للمتعارف عليه، حيث ظهر فيلم إسرائيلي متعاطف مع الفلسطينيين، كما كتبت جريدة «يديعوت أحرونوت»، مما مكن مخرج الفيلم اليهودي، أدى ألوني، من الفوز في مهرجان أمريكا السينمائي، عن فيلمه هذا؛ (التسامح)، بجائزة مهرجان وودستوك الدولي للفيلم، ليعد أول فيلم إسرائيلي يشارك في المهرجان على مدار السبعة أعوام التي أقيم خلالها المهرجان.

كانت الشخصية الرئيسية لشاب يهودي أمريكي، التحق لتوه بجيش الدفاع الإسرائيلي. وخلال خدمته العسكرية قتل فتاة فلسطينية. وتأثر بالحادثة، فبدأ في التورط نفسيًا في أشلاء المدن الفلسطينية. ولعب شبح المدينة دورًا كبيرًا في استدراج الشاب، ومواجهته بضحايا المذابح الإسرائيلية، ليضعه وجهًا لوجه مع الماضي.

الفيلم إنتاج أمريكي-إسرائيلي، ويقول عنه المخرج: «لقد كانت مفاجأة لي عندما سمعت بخبر فوزي، فلم أعتد الحصول على مثل هذا التقدير، دون أن يظهر جدال ورفض، لأن ما أفعله يراه البعض على أنه آراء صادمة للمجتمع الإسرائيلي، وهذه المرة كان الأمر مخالفًا لذلك، فلقد أحب الجمهور العمل وتقبله، ربما لأنه رآه من زاوية بعيدة عن السياسة، ولازلت أذكر إحدى الناجيات من المحرقة النازية، حين أقتربت مني، وقالت: (لقد مسني الفيلم بعمق)! ساعتها لم أملك إلا أن أبكي».

نوعية أخرى من الأفلام المثيرة، تسعى لربط المسلمة باليهودي، عبر قصص حب وجنس تتحدى المجتمع. وقد شهدت الأفلام الإسرائيلية الكثير منها، والتي سعوا فيها إلى الحصول على وجوه عربية، تشارك في الأفلام أو -في أسوا الحالات- وجوه تبدو عربية. ففي سبتمبر ٢٠٠٢ شهدت دور العرض الإسرائيلية فيلم «بوق في الوادي»، لمخرجته الروسية الأصل؛ لينا تسفلين، لينال الفيلم جائزة أحسن عمل درامي من الأكاديمية الإسرائيلية العليا للسينما والتليفزيون.

تدور قصة الفيلم حول البطلة الفتاة العربية هدى، التي تقع في غرام الشاب اليهودي، أليكس ساندروفيتش، المهاجر من روسيا إلى فلسطين. وتعلن هدى أنها لا تستطيع الحياة بدونه، وتختار أن تذهب معه، وتتخلل مشاهد الفيلم إيحاءات جنسية، ومشاهد تتسكع فيها الفتاة العربية في نوادي إيلات الليلية. وقصة الفيلم مأخوذة عن رواية الكاتب السفارديم سامي ميخائيل، وهو من أصل عراقي.

لعب على الموضوع نفسه فيلم «ماروك»، لمخرجته المسلمة العربية، ليحمل الكثير من اللحظات المثيرة، حيث قامت الفتاة العربية بتقبيل اليهودي، فخلع من عنقه نجمة داوود، وقلدها إياها. وبعد مرور عام على عرض الفيلم في مهرجان كان، في ٢٠٠٥ -كما ذكر الموقع الإلكتروني «أسبوع اليهود»- بدأت الرقابة في فحصه، لكنها لم تقم بقطع أي مشهد. لتدور الأحداث حول الإبنة المتمردة؛ ريتا التي تتجرع مع أصدقائها في المدرسة الثانوية الويسكي، ويدخنون الحشيش، حتى أنها تلهو وتأكل أثناء رمضان، وتنزلق إلى ملذات عاطفية.

ترتبك حياتها، بوقوعها في حب الشاب الوسيم الطائش، يوري اليهودي. وعلى الرغم من تقبل أصدقائها للوضع فإنها كانت تخفيه عن أبويها، المتمسكين بالعادات والتقاليد، وعن أخيها لأكبر المتدين. ولم تفعل ذلك لأجل الدين، إنما، كما قالت: «لا يهمني الدين، أريد أن أُقَبّلك فحسب، في أي وقت، أو مكان أريد».

مخرجة الفيلم رباب ماراكش المسلمة المتزوجة باليهودي السفارديم، شبت في الدار البيضاء، حيث تدور قصة فيلمها. وقد صرحت رباب: «أود أن أطبق النظام الأمريكي في المغرب، لأظهر نوعًا معينًا من الشباب المغربي الموجود، حتى لو أصر البعض على إنكار وجوده. أنا أعرف أن عمل مثل هذا الفيلم سوف يؤدي إلى الكثير من الأمور المزعجة، خاصة علاقة الحب التي تجمع الشابة المسلمة والشاب اليهودي، لكنه بالنسبة لي رمزًا للسلام والصدق في هذا العالم المعقد».

لقطة من فيلم ماروك

أضافت رباب: «أن المغرب في حالة من التسامح الديني، إذ أنها وطن لليهود،

منذ مئات الأعوام، واليهود المغاربة والمسلمون يتواجدون معًا في سلام».

السؤال الذي طرحه الموقع الإلكتروني «أسبوع اليهود» هو: «هل عنت المخرجة بأن الصبي هو الفحولة الإسرائيلية المدّعاة، التي تفتح لها ريتا -التي تمثل الأراضي العربية- صدرها، خصوصًا في المشهد الذي يقوم فيه يوري بإهداء ريتا نجمة داوود، وإرتدائها لها، في رضا؟!».

لم يخلُ الأمر من أفلام تقدم الصراع بشكل ساخر، مثل فيلم أري ساندیل «قصة الضفة العربية»، الذي كتبت عنه جريدة «هآرتز»: «عندما يعرض الفيلم سيصعب ألا ينصدم أولئك الذين تعودوا على رؤية نشرات الأخبار المتضمنة للجنود الإسرائيليين الذين يطلقون النار على الفلسطينيين، والمهاجمين المقنعين، الذين يطلقون صواريخ (قسام) على الجاليات الإسرائيلية، لأن الفيلم حاول تقديم الصراع العربي-الإسرائيلي في ٢٠ دقيقة -هي مدة الفيلم- بالاعتماد على الأغاني، والرقص، والنكات، وحصل على جائزة أوسكار الأفلام القصيرة.

الفيلم يعتمد على وقوع الفلسطينية فاطيما في قصة حب مع المجند الإسرائيلي، ديفيد، وتؤدي هذه القصة إلى تحطيم مطعمين ينتميان للأسرتين، ومحاولة بناء جدار عازل بين المطعمين، لكن في النهاية تضطر الأسرتان إلى العمل معًا، لإصلاح ما أفسدوه. ويقول المخرج إنه درس الإسلام واليهودية، وزار بلدان كثيرة في الشرق الأوسط، وأراد عمل هذا الفيلم ليخبر العالم بأنه لايزال هناك أمل!، ورغم أن أمه أمريكية وأبوه إسرائيلي، فإنه أكد على حرصه على توازن الرؤى في الفيلم!

فيلم آخر تسجيلي، زعم الرغبة في إحداث التوازن، بتقديمه لـ ١٤ امرأة فلسطينية وإسرائيلية، يجمعهن «الريجيم من أجل السلام في الشرق الأوسط». وتقول مخرجة الفيلم؛ يال لوتواك - وهي نصف إسرائيلية ونصف أمريكية تعيش

في لندن- عن الفكرة: «كنت أحاول عمل ريجيم لنفسي، حينما اضطربت عملية السلام، في ٢٠٠٠ فبرز شيء في رأسي، وقتها ليربط بين الاثنين؛...وفي فيلم «سلام الريجيم» أردت أن أجمع امرأتين لم تتمنيا، أبدًا أن تجتمعان، لذا لم أسع لإحضار النساء الإسرائيليات أو الفلسطينيات من بين الأغنياء، والذين بطبعهم سيكونون ليبراليين ومؤمنين بالسلام والتعايش، فكان خبير الريجيم يجلس مع امرأتين بسيطتين؛ واحدة فلسطينية وأخرى إسرائيلية، فينفتحان على حيوات بعضهن، ويتشاركان تجاربهن وعائلاتهن.

من فيلم (سلام الريجيم)
ومكتوب على صدر إحداهن اسم الفيلم

من آخر الأفلام التي أثارت ضجة كبرى بين مصر و(إسرائيل)، هو الفيلم التسجيلي الذي طرح مذبحة حرب ١٩٦٧، التي أمر فيها وزير البنية التحتية الحالي، بنيامين بن إلعازر، بقتل ٢٥٠ جنديًا مصريًا غير مسلح، في مذبحة، سارت فيها الدبابات فوق أجسادهم. وأعلنت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أنه بناء على هذا الفيلم تعكرت الأجواء في مصر تجاه الإسرائيليين، وزعموا أن مستشار مبارك أعلن قائلاً: «يجب أن يرحل كلب السفارة الإسرائيلية، ويترك مصر»!

وفي محاولة من بن إلعازر للدفاع عن نفسه، أجّل زيارته لمصر التي كانت ستتم في مارس ٢٠٠٧، ليقابل مجموعة من الدبلوماسيين المصريين. وصرح بتفاصيل الواقعة من وجهه نظره قائلاً: «في الأيام الماضية قامت الصحافة العربية، وخاصة المصرية، بالثورة، بسبب فيلم حفل بمعلومات خاطئة... بالفعل، كان هناك مواجهة بين الفدائيين الفلسطينيين والإسرائيليين في غزة. وهؤلاء لم يُقتلوا في مذبحة، بل قُتلوا في المعركة، وبالرجوع لأوامري، يوم ٤ يونيو ١٩٦٧، فقد كان القتلى من الفريق المعادي من الفلسطينيين وليسوا جنودًا مصريين.... وأكبر دليل أنه قبل المعركة بيومين قام الجنود الإسرائيليون بمساعدة الجنود المصريين وأعطوهم الماء والطعام!

فيلم ثان أثار مزيدًا من الضجة حول مصر و(إسرائيل)، إنه «زيارة الفرقة»، وهو الفيلم الإسرائيلي الفائز من قِبَل لجنة تحكيم الشباب والفنانين الفرنسيين لأحسن إخراج في مهرجان كان (٢٠٠٧)، كما كان قد فاز قبلها بالمركز الأول في مهرجان السينما الإسرئيلي الأكاديمي، وبجائزة أفضل فيلم أوروبي لعام ٢٠٠٧. ودار الفيلم حول رحلة فرقة موسيقية مصرية في رحلة في (إسرائيل)، ونتيجة قراءتها للفظ خطأ في محطة القطار الإسرائيلية وصلت الفرقة المصرية إلى قرية بعيدة، غير التي يقصدونها. وتدور الأحداث بين أعضاء الفرقة والقرويين، الذين لا يفهمون سبب مجيئهم، وتستضيفهم امرأة، وتتطور علاقتهم الجنسية بها. وكمنت ضجة هذا الفيلم في الإعلان عن مشاركته في المهرجان الدولي لأفلام الشرق الأوسط في أبو ظبي، في أكتوبر ٢٠٠٧، وزعمت صحيفة «يديعوت أحرونوت» بأن الدعوة أُرسلت للمخرج عن طريق نانسي موليت، منظمة البرنامج، في مهرجان أبو ظبي، ثم عادت «يديعوت» بعدها لتكتب عن إلغاء مشاركة هذا الفيلم في مهرجان أبو ظبي، بسبب إعلان الفنانين المصريين مقاطعتهم للمهرجان، في حال عرض الفيلم

الإسرائيلي، كما أكدت الصحيفة أن الفيلم مُنع من المشاركة في المهرجان السينمائي المصري، لعام ٢٠٠٧، بسبب المشاهد الجنسية التي تضمنها.

مشاهد من فيلم زيارة الفرقة

شيرا وإيتجار

فاز في اللجنة نفسها في مهرجان «كان» فيلم إسرائيلي آخر بعنوان «ميدوزوت». أي «قنديل البحر»، لشيرا جيفين، وإيتجار كيريت، وحصل على جائزته: المائتي ألف دولار، وهو العمل الأول لكاتبته الشابة؛ شيرا جيفين، التي أخرجته هي وزوجها الكاتب إيتجار كيريت، تدور أحداثه حول قصة ثلاث نساء في تل أبيب.

من فيلم «قنديل البحر» الفائز في كان

فنون أخرى
(الفن التشكيلي، الموسيقي، الرقص)

الإبداع ملعب للصراع الفكري، بحيث يشمر المبدعون أكمامهم، فلا يعبرون عن أحاسيسهم ومشاعرهم فحسب، بل قد يستغلوا الإبداع للترويج لأفكار بعينها، مثل حكايات الإسرائيليين عن فرقهم الموسيقية التي تتعاون مع أخرى عربية، أو عن مشاريع فنية وثقافية تخفي أشياء ورائهم، لذلك احتجنا لمعرفة معلومات عن فنون إسرائيلية أخرى.

بدأت بذور الفن التشكيلي العبري، عام ١٩٠٦، حين وصل أرض فلسطين بوريس شاتز من بلغاريا، وأسس أكاديمية بيزاليل للفنون والصناعات اليدوية في القدس، وبدأ يدرس فيها شباب اليهود. وفي عام ١٩١٠ حوت الأكاديمية ٣٢ قسمًا مختلفًا، وظهرت، في تلك الفترة، مجموعة فنانين، هم: شموئيل هيرزنبرج Shmuel Hirszenberg (١٨٦٥-١٩٠٨)، إبراهام ليليان Ephraim Lilien (١٨٧٤-١٩٢٥)، وقابل بان Abel Pann (١٨٣٣-١٩٦٣)، ليقام أول معرض رئيسي، عام ١٩٢١، في قلعة ديفيد بالقدس القديمة، وقد أقامته مجموعة من الفنانين القادمين الجدد، وحاولوا تشكيل ثقافتهم الجديدة، عبر مفهوم أن كل فن عبري هو فن مغاير للفن اليهودي الذي يظهر خارج (إسرائيل)، وبهذا أرادوا تأكيد رؤيتهم القومية لـ(إسرائيل)، وإضفاء خصوصة على الفنون التي تبتكر داخل (إسرائيل)، لتتميز عما ابتكره اليهود في الخارج، ثم اتجه الفنانين إلى تل أبيب، لتصبح مركزًا للنشاط الفني.

في الثلاثينيات بدأت وفود الفنانين الألمان، على إثر الاضطهاد النازي، ليلتحقوا بالمهاجرين الألمان، الذين سبقوهم إلى أرض فلسطين بعشرين سنة، مثل

آنا تيشو Anna Ticho، وليوبولد كاركور Leopold Krakauer، وبدأ الفنانون يتبنون الأسلوب العسكري، الذي يقدم رسالة اجتماعية واضحة، على أثر الحرب العالمية الثانية، وحرب ١٩٤٨. مثل نفتالي بيزيم Naftali Bezem، وأفارهام أوفيك Avraham Ofek [١].

علم الفنان يوري ليفشيتز
"العلم المخبول"

ومن أحدث الإبداعات التشكيلية، ذلك المعرض الذي قام فيه خمسة فنانين إسرائيليين رواد بتقديم رؤية متطورة لعلم (إسرائيل)، في أبريل ٢٠٠٧، فقدم الفنان يوري ليفشيتز علم بعنوان «العلم المخبول»، الذي أعتمد على أن يكون علمه مجرد ظلال شخص بلا تفاصيل، وبلا معرفة من هو. لذا قام بتظليل نجمه داوود، وشخصية تيودور هرتزل، لأنه كما يقول عن نفسه «غير مرتبط بأي رمز».

علم ياكوف أجام
«قوس قزح وعلم الحب»

أما الفنان ياكوف عجام، فآمن بأن علمه «قوس قزح وعلم الحب» قد يعيش، ويمثل بديلاً للعلم القومي، فاختار شموع المعبد اليهودي كرمز للحرية والنور، ورسمها على شكل قوس قزح، الذي بوجوده وسط السحب

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/Culture/CULTURE-%20Visual%20Arts، ٢٠٠٧/١١/٢٩.

يرمز للأمل في عالم أفضل، وهي لغة يفهمها الجميع بلا كلمات، واختار أن يكون نصفه أبيض ونصفه أزرق، ليرمز بذلك إلى الهجرة، ليتحول كله للون الأزرق، حينما تتم هجرة كل اليهود إلى (إسرائيل). وأكد ياكوف أن «نجمة داوود ليست رمزًا إسرائيليًا، وغير موجودة في التوراة، وقد فُرضت علينا في ثلاثينيات القرن الماضي، حينما أُجبر هتلر اليهود على ارتداء نجوم صفراء، ليميز اليهود من غيرهم...كما أن نجمة داوود ليست حكرًا على اليهود، حيث تستخدمها الثقافة الهندية، وتدل على الجماع الجنسي، وقد اختاره تيودور، لأنه كان يسابق الزمن والضغط العصبي، فأختار النجمة بين خطين، رامزًا لصلاة شائول، وتبناه بن جورين كعلم قومي».

أما علم زويا شيركسي «العلم الفاصل»، فأراد به أن يعكس الأزمة، فرسم نجمة داوود، لكن بأضلاع أكثر، ليبدو كأنه انفجار. واختار الحمام، ليرمز إلى الحب والسلام، أما الفنانة ميناشي كاديشمان فاختارت «علم الأمل»، ليرمز لون الحمام الأصفر فيه إلى يوم تخليد ذكرى ضحايا الهولوكوست.

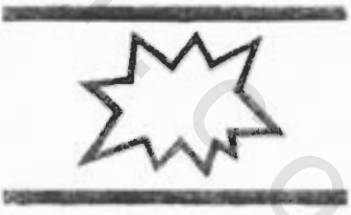

العلم الفاصل

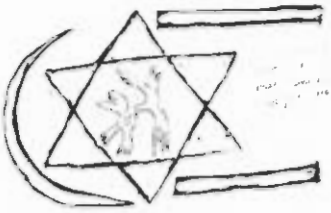

علم ميناشي كاديشمان «علم الأمل»

أما رافي لافي (٧٠ عامًا)، فحاول التعبير بعلمه؛ «النقود والعنف» عن الأوضاع الحالية، فاستخدم رمز البندقية والنقود، لأن وفقًا لرأيه: «النقود هي العنف، الذي يتغلب علينا في تلك المدينة..وأنا لست فخور بأنني إسرائيلي، ولست فخورًا بأي شيء، حتى لا أفضل كلمة (فخور)، فالأهم أن تحب أو لا تحب، وهذا سؤال مختلف. فأنا ربما لست فخورًا بابني، لكنني أحبه»!

علم «النقود والعنف»

تبع هذا الحدث، في نوفمبر ٢٠٠٧، تصميم أكبر علم إسرائيلي في الفلبين، بطول ١٠٠ متر وعرض ٢٠٠ متر، وهو ما يساوي مساحة ملعبين كرة قدم كما يزن ٢٠٠ , ٥ كيلو جرام، وقام بحياكته ستة خياطين تحت إشراف مصممين، وبمساعدة ٤٠ متطوع. وهو العلم الذي أمرت بصنعه سيدة الأعمال الفلبينية المحبة لـ(إسرائيل)؛ جراس جوبانا في ذكرى مرور ٥٠ سنة على علاقات التعاون الإسرائيلية الفلبينية.

دانيال بارينبويم

أما عن الموسيقى، فقد بدأت في أخذ مكانها، بعد الحرب العالمية الأولى، وانتعشت في ثلاثينيات القرن الماضي، بمجيء العديد من دارسي ومدرسي الموسيقى إلى أرض فلسطين بناء على التهديد النازي. ويوجد اليوم عدد من الفرق منها فرقة أوركسترا «إسرائيل فيلاهارمونيك» Israel Philharmonic Orchestra، التي قدمت أولى حفلاتها عام ١٩٣٦، واحتفلت عام ٢٠٠٧، بعيد ميلادها

السبعين، وتم إنشاء المزيد من المؤسسات الموسيقية، مثل أوركسترا الغرفة الإسرائيلية، بير شيفا سينفونيت، وأوركسترا «إسرائيل كيبوتز»، التي تم اختيار أفرادها من بين ساكني الكيبوتز.

حدثت طفرة بناء على أفواج الهجرات الروسية، الحافلة بالمبدعين الموسيقيين، الذين جددوا الموسيقى الإسرائيلية. ومن أشهر المطربين الإسرائيليين بينشاس زوكيرمان Pinchas Zuckerman، شولومو مينتز Shlomo Mintz، دانيال بارينبويم Daniel Barenboim، وإسحق بيرلمان Itzhak Perlman [1].

بينشاس زوكيرمان

شولومو مينتز

سحق بيرلمان

مطرب إسرائيلي معاصر، موشيه بن أري

فرقة غناء إسرائيلية

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/Culture/CULTURE-+Music.htm، ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧.

مع رواج فكرة البرامج التي تكتشف الأصوات الشابة، وتتبناها في منزل كبير، معطيه إياهم التدريبات اللازمة، ليتم استثناء بعضهم، ويختارون من يطلق عليه نجم البرنامج، فإن مثل هذه البرامج غير موجودة في (إسرائيل)، مما يعني -كما تقول صحيفة«يديعوت أحرونوت»- انعدام الفرص أمام الإسرائيليين، نظرًا لعدم استطاعتهم المشاركة في البرامج العربية بالسفر إلى البلدان العربية، أو حتى الإشتراك في البرنامج الإسرائيلي «مولد نجم»، الذي يشترط أن تكون أغانيها بالعبرية، التي لا يتقنها الجميع.

فاز في هذا البرنامج (عام ٢٠٠٧) ميشيل كركالين، وهو سفاردي -أي يهودي شرقي- فأثار ذلك ضجة، لأن البعض رأى أن أصوله تعني أنه سيغني بطريقة مختلفة، وعليه أن يكافح لينجح بالطريقة الجديدة، التي سيغني بها، لأن اليهود الشرقيين ربما يكونون موهوبين أكثر، ولديهم روحانيات أكثر، لكن هناك حقيقة حولهم، وهو أنهم بمعدة فارغة تجعلهم جوعى، طوال الوقت، وأن هذا السفاردي ربما كسب شعبية كبيرة لدى الناس، لكنها شعبية اللابطل، تمامًا كما حصل شارلي شابلن ودوستن هوفمان على شهرة أفلامهم!

الفرقة الإسرائيلية

بعض الفرق تنادي بالسلام، منها أول فرقة موسيقية تشكلت بعد الحرب اللبنانية الثانية، وهي فرقة موسيقى الميتال الإسرائيلية «البحث عن السخرية»، التي اشتركت -كما زعمت جريدة «يديعوت أحرونوت»- مع فرقة موسيقى ميتال لبنانية، تحت مسمى «الموسيقى لا تقيدها الحدود».

الفرقة الإسرائيلية مع منتجين أمريكيين

ذكرت «يديعوت» أن العلاقة بين الفرقتين بدأت، قبل اشتعال الحرب اللبنانية، وفقًا لما زعمه أحد أفراد الفرق الإسرائيلية قائلاً: «لقد أرسلوا لنا رسائل بعنوان (حظ سعيد من جيرانكم في لبنان)، فردت فرقتي الإسرائيلية: (شكرًا كثيرًا، جيرانكم من إسرائيل)، وأصبح هدفهم استخدام الموسيقى لعمل أغنية لتقريب الطرفين، بعد أن فشل القادة في إدارة الأزمة»!

وأدّعت «يديعوت» أن الشاب اللبناني قال عن تلك الأغنية: «رسالتنا الأساسية واضحة، أيها الناس افتحوا عيونكم، ولا تعيشوا الأكاذيب التي يخبرونكم بها، ولكي نثبت لكم أننا يمكن أن نعيش معًا في سلام، قدمنا لكم الأغنية برهانًا، فمنذ ولدت وهم يخبرونني، أننا أعداء، لذا لم أتوقع أن يكون لي صديق إسرائيلي، لكنني اكتشفت أننا لسنا أعداءً، كما رووا لي». وأكد الشاب الإسرائيلي على كلامه، بالنسبة لموقفه هو الآخر منهم.

إيران تزور

من الأغاني الأخرى التي تنادي بالسلام ما سجلها إيران تزور، في مايو ٢٠٠٧، «القدس حبي». كتب الأغنية نعيم أريدي، ولحنها تزور نفسه، وتحكي الأغنية عن فتاة صغيرة جميلة، تسمى القدس، وتتعرض للانتهاك، لكنها ستبقى دائمًا، لأنها مهمة للجميع.

أغنية أخرى لأجل جلعاد شاليت(*) ألفها جاره ماتان زاريهان، البالغ ١٧ عامًا، وهي بعنوان «كم طويلاً»، بمناسبة مرور عام على اختطاف شاليت، وغنوا الأغنية في مظاهرة، في القدس، في تلك الليلة.

شارون هازيزي

تجارب متنوعة ارتبطت فيها الأغاني بالحروب، مثل المطرب أور بار أون، الذي فقد قدميه في الحرب اللبنانية الأخيرة، لكنه رغم ذلك عاد، في نهاية ٢٠٠٧، للغناء مع فرقته «فينديتا». وعودة أخرى للمطربة الإسرائيلية، شارون هازيزي، في يونيو ٢٠٠٧، بألبومها (صدمات قوية)، وذلك بعد تحديها لمرض السرطان.

يوناتن رازيل

أما المطرب يوناتن رازيل فأُختير كأفضل مطرب يهودي لعام ٢٠٠٧، وفقًا لاستفتاء قامت به صحيفة «يديعوت أحرونوت»، كما اُختيرت أغنيته «الحب سيخرج من جبل صهيون» كأغنية العام، التي غناها في حفل تسلمه الجائزة، خلال مهرجان الموسيقى اليهودية في بيت شميس. ويُذكر أن هذا هو الاستفتاء الأول من نوعه، الذي انفردت به صحيفة «يديعوت أحرونوت».

مسابقات أخرى تُقام سنويًا، مثل المسابقة الدولية لعزف الهارب ومسابقة البيانو، كما أن هناك المهرجانات المحلية. «أما عن الأغنيات، فالقادمين الجدد كانوا

(*) جلعاد شاليت هو الإسرائيلي، الذي اختطفته قوات المقاومة الفلسطينية، فاتخذته (إسرائيل) ذريعة لشن الحرب على لبنان ٢٠٠٦، وسنسرد قصته في الباب الثاني؛ «جرائم وقضايا فساد»، الفصل الأول؛ «فضائح الكراسي الرئاسية»، تحت عنوان: «أشباح لبنانية تكشف عن وزير سيء السمعة».

يترجمون أغنياتهم إلى العبرية، ثم مع الوقت، بدأ التأليف بالعبرية نفسها، وهناك أغاني عبرية تتحدث عن فكرة السلام، مثل «أغنية للسلام»، للشاعر ياكوف روتبلت، والملحن يائير روزنبلم، التي تقول:

«دع الشمس تشرق

لتعطينا ضوء النهار

الصلوات النقية

لن تعيدنا كما كان

***

شمعته تَبَدَد ضوءها

ودُفنت تحت الغبار

البكاء المر لن يوقظه

لن يعيده كما كان

لن يعيدنا أحد

من الحفرة المميتة المظلمة

فلا النصر يتحقق

ولا أغاني المجد ستفيد

إذن غن فحسب أغنية للسلام

لا تهمس بالصلوات

الأفضل غن أغنية للسلام

obeikandl.com

بصوتك الصارخ

***

دع الشمس تتخلل

الورود

لا تنظر للوراء

اترك هؤلاء الراحلين

ارفع عينيك بالأمل

وليس عين البندقية

غن أغنية للحب

وليس للحروب

لا تقل سيأتي اليوم

أجلب اليوم لأنه ليس حلم

وساعتها كل ميادين البلد

ستهتف فحسب للسلام»[1].

لا تخلو الساحة الغنائية من محاولات لاستغلال الفن في الصراع العربي-الإسرائيلي، فنجد الكاتب المصري علي سالم -صاحب مسرحية «مدرسة المشاغبين»- يحكي عن رحلته إلى (إسرائيل)، وكيف أنه استمع إلى أغاني إسرائيلية

(١) موقع تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية،
http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/Culture/CULTURE+Music.htm، ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٧.

obeikandl.com

على ألحان عربية مسروقة قائلاً: «في الطريق إلى الشاطئ كان السائق يدير هذه الأغنية في جهاز كاسيت السيارة. هي حزينة وجميلة يغنيها مطرب شاب، فيها مقطع يتكرر بشكل فيه أسى وعذوبة. هل أسأل السائق عن اسم المغني، واسم المغنية؟. لا داعٍ، فسأحفظ المقطع الذي يتكرر، وأذهب إلى محل شرائط كاسيت، وأغني هذا المقطع للبائع. نزلنا من التاكسي، تمشينا قليلاً، وأنا أهمهم بموسيقى المقطع، عبرنا الشارع، وجلسنا في مقهى، اختفى اللحن من ذهني، أفلت من ذاكرتي، ليتني سألت السائق. وفجأة عاد اللحن مرة أخرى، ولكن في هيئة أخرى، جاء يرتدي ثيابًا مختلفة. نعم، أنا أعرف هذه الأغنية، هي أغنية (اشتقنالك)، للمطرب اللبناني راغب علامة، نعم هي بالتأكيد، هو اللحن نفسه، بتوزيع جديد.

«كنت أعرف من قبل أن هناك ألحانًا مصرية، تُغنَى عليها أغاني عبرية، ولكن أن تسمع عن شيء، أمر مختلف تمامًا، عن أن تعيشه...فأنشغل ذهني بموضوع الغزو الثقافي الإسرائيلي لمصر»[1]، مثال آخر قدمته الراقصة داليا ناعوم، وهي صاحبة مدرسة لتعليم الرقص الشرقي في تل أبيب[1]، وغيرها كثيرات مما دفع (إسرائيل) لإقامة «مهرجان إيلات الدولي للرقص الشرقي»، في إيلات، منتصف يناير(١٩/ ١/ ٢٠٠٨) للسنة الرابعة على التوالي. وتضمن المهرجان ورشًا في الرقص الشعبي بتوجيه مدربين إسرائيليين، وعروض الرقص ومحاضرات متنوعة حول هذا الموضوع. وتم إقتراح فكرة جديدة له هذا العام بعنوان «اكتشاف المهرجان»، وهدفها إتاحة فرصة التقدم لراقصات محترفات في بداية مسيرتهن المهنية . بالإضافة إلى توفيره لورش حول الفولكلور القوقازي، والبخاري، ورقص

(١) علي سالم، رحلة إلى إسرائيل، القاهرة، مدبولي الصغير، ١٩٩٦، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) <www.sis.gov.ps/arabic/roya/16/page5.html - 43>.

الفلامنكو، والدبكة، كما ألقيت محاضرات، وشارك فيه راقصون من دول مختلفة.

خططت وزارة الخارجية «أن يكون ضيف الشرف في هذا المهرجان الأديب الإسرائيلي إيلي عمير، ليلقي محاضرة، عن حياة أم كلثوم. ويصحب ذلك بازار شرقي بأسلوب خان الخليلي القاهرة لتُعرض فيه الأشياء الساخنة والصيحات الأخيرة من مصر، كالموسيقى، وملابس الرقص، والشالات، والملحقات، والحلى. وإلى جانب هذا ستخصص أماكن للنساء اللواتي يمارسن الميستيكا (علم الغيب)، ومخيم بدوي مع النراجيل والقهوة المصنوعة على الجمر، وأشياء جذابة أخرى»[1].

ثمة فرق رقص أخرى في (إسرائيل)، مثل فرقة «عنبال» الفنية للرقص، أول فرقة إسرائيلية تستمد مواضيعها من التوراة. وفرقة «كول ودماما» أي (الصوت والصمت)، وهي فرقة فريدة في نوعها، إذ تشمل راقصين من الصم إلى جانب الراقصين العاديين.

أقام مصمم الرقص موشيه أفراتي هذه الفرقة عام ١٩٧٨، مستخدمًا أساليب خاصة تمكن الأشخاص الصم من الرقص بواسطة جهاز ينقل الذبذبات من راقص إلى آخر.

أما في تل أبيب فتوجد المكتبة والأرشيف الإسرائيليان للرقص، ويشكلان مركزًا للدراسات الفنية الخاصة بهذا الفن ويقومان بإصدار الكتب ونشر «الكتاب السنوي للرقص». وبوسع الشباب المعني بتعلم الرقص تلقي التدريب في عدة معاهد، منها أكاديمية روبين للموسيقى والرقص في القدس وتل أبيب، وأستوديوهات فرقة بات دور، ومعهد تالما يلين في تل أبيب، وعدد آخر من معاهد

(١) مهرجان إيلات الدولي للرقص الشرقي،
http://www.altawasul.net/MFAAR/israel+beyond+politics/eilat+festival+for+eastern+dance+02122007.htm، ٢٠٠٨/١/١٣.

الرقص في مختلف أنحاء البلاد [1].

نوع آخر من الثقافة الإسرائيلية، وهي السياحة الثقافية التي أوردت صحيفة «هآرتز» بعض الأماكن التي يمكن القيام فيها بجولات، مثل:

- شمال النقب، المنطقة المليئة بالحقول الزراعية، والتي يذهب إليها السياح خصيصًا، لرؤيتها لأنها زاخرة بحقول الطماطم، والكرز، والفراولة، والبرتقال، ويوجد الحمام والصقور، ويقوم الزوار بكتابة أمنية، وربطها في قدم الحمامة، وتتكلف هذه الرحلة للفرد الواحد ٤٠ شيكل.
- كيبوتز كيسوفيم يوفر جولات في حقوله الحاوية للفاكهة، وتلك الرحلة التي تستمر لتسعين دقيقة، تتكلف ١٠ شيكل للبالغين، و٥ شيكل للأطفال.
- مزرعة النعامة أسسها باروخ أديري، منذ ٢٠ عامًا، حيث يمكن للزوار حلب الشاه، وصنع الجبن والقيام بالخبيز في طابونة تقليدية، وتلك الرحلة تتكلف ٢٨ شيكل.
- في الشتاء يُفضل زيارة أفارا الشمالية، أو المعروفة بالوادي الأحمر، حيث حقول المحاصيل الفصلية، كالبصل، والبلح، وحيث الطيور المهاجرة، والبرك الحلوة، وتتكلف تلك الرحلة عشرين شيكل للفرد.

(١) الرقص، <http://www.altawasul.net/MFAAR/this+is+israel/culture/dance.htm>، ٤/٦/٢٠٠٨.

• في كنيريت، في الشمال، يمكن القيام بجولة صيد، كل سبت في الساعة الثانية ظهرًا، على مركب مجهزة برادار، وشبكة كبيرة، حيث يمكنك إيجاد تجمعات الأسماك، عن طريق الشبك، ومن ثم التقاطه، وتتكلف تلك الرحلة ٤٠ شيكل.

• في داج باكفار، يمكن للناس أن يبنوا منازل بامبو، ويطهون في الحقول، ويخبزون، ويمكنهم ممارسة أنشطة أخرى، كالصيد والحرف اليدوية، وتتكلف تلك الرحلة ٥٠ شيكل، و٢٦شيكل أخرى للصيد، وممارسة الحرف اليدوية.

• في زيتر سبيلير ثمة حقول، تحوي محاصيل طبية، كما يمكن للزائر الحصول على محاضرات في هذا المجال.

• فاريديم فيود، عبارة عن مزرعة للورود، حيث يمكنك، مجانًا، مشاهدة العمال وهم يقطفون الورد، ويغلفونه، ويصنعون الباقات.

• متحف تراكتور في كفر تافور، يعطي الفرصة لزائريه برؤية الآلات الزراعية، والجرارات، من شركة جون دير، كما يقومون بجولة خلال الحقول، ويهبطون سبعة أمتار في بركة القطن، وهناك أنشطة للأطفال، وتتكلف تلك الجولة ٣٧ شيكل للشخص الواحد، و١٢٠ شيكل للعائلات.

لأن الثقافة كلمة شاملة لأشياء كثيرة، فمن المؤكد أنه للجريمة ثقافتها، تلك الثقافة التي تصبح خطرة جدًا، حينما توجد في القطاع الحاكم، وتصبح مربكة إذا ما شاعت بين أفراد الشعب.